
المصطفى حميمو
ظاهرة الإسلاموفوبيا
الأسباب والمآل

المصطفى حميمو

ظاهرة الإسلاموفوبيا

الأسباب والمآل

توطئة

اخترت هذا الموضوع لشدة اهتمامي به فترة طويلة من حياتي وكتبت فيه هذا البحث ونشرته على الإنترنت منذ أكثر من عشر سنوات. وسرني كثيرا القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة وحددت فيه يوم 15 مارس من كل سنة بوصفه اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسلام. وبمناسبة أول احتفال باليوم الدولي الأول لمكافحة الإسلاموفوبيا في عام 2021، أشار الأمين العام للأمم المتحدة أنطوني وغوتيريس إلى أن التعصب ضدا على المسلمين هو جزء من تيار أوسع لعودة ظهور القومية العرقية والنازية الجديدة ووصمة العار وخطاب الكراهية الذي يستهدف الفئات السكانية الضعيفة بما في ذلك المسلمين واليهود وبعض الأقليات المسيحية وغيرها، مشيرا إلى أن القرآن الكريم يذكرنا بأن الشعوب والقبائل خُلقت لتتعارف، وأن التنوع ثراء وليس تهديدا. الأمر الذي شجعني على إعادة نشر هذا البحث للتأكيد على أن الأمر يتعلق بظاهرة محدودة في الزمان والمكان وليس أبدا سلوكا لازما للإسلام في كل مكان ومنذ نشأته.

لقد عشت في بلجيكا مدة إحدى عشر سنة ما بين 1975 و1986 كأستاذ ملحق بالبعثة الثقافية لتدريس اللغة العربية لأبناء وبنات الجالية المغربية بالمدارس البلجيكية. وفي نفس الوقت تابعت هنالك دراستي الجامعية. وبحكم عملي ودراستي كنت من جهة متواصلا مع الجالية المغربية ومندمجا فيها بنفس القدر الذي كنت فيه من جهة ثانية متواصلا مع شتى فئات المجتمع البلجيكي. وكنت بذلك أعرف جيدا الموقف بهذا البلد وبباقي أوروبا من الإسلام ومن المسلمين، وبقيت بعد عودتي إلى المغرب متتبعا باهتمام شديد لتطورات ذلك الموقف، ولاسيما من خلال إعلامه.

عُدت إلى المغرب سنة 1986. وحتى ذلك الوقت كان العمال من الجالية المسلمة رفاق العمل لنظرائهم الغربيين كما كان أولاد نفس الجالية زملاء في الدراسة وأصدقاء في الحي لأبناء الغربيين. فلم يكن هناك لا عداء ضد الإسلام ولا خوف من المسلمين في كل أوروبا. بل لاحظت وعشت على العكس من ذلك، احتراما وتقديرا كبيرين للمسلمين المتدينين لا من طرف السلطات ولا من جهة عموم الناس. بعبارة أخرى كان المسلم الملتزم بدينه عندهم أفضل بكثير من المعربد من بينهم، الذي يتردد على الخمارات مثلا، ويستبيح كل المحرمات. وأكثر من كل ذلك فقد كانت السلطات العمومية بكامل ربوع بلجيكا وكذلك بباقي الدول الغربية تساعد بتلقائية كبيرة المسلمين في إيجاد المساجد إما بتوفير بنايات جاهزة لها أو بالتبرع عليها بأراضي لبنائها أينما وجدت حتى بجوار وبالقرب من سكن البلجيكيين.

ومن المعروف أن الحكومة البلجيكية في السبعينيات صادقت – فقط لحسابات سياسوية بين أحزابها، لا مجال للتفصيل فيها هنا- على قانون يعترف بالدين الإسلامي كأحد الأديان المقبول تدريسها بكل مؤسساتها التعليمية. ويُلزم هذا القانون الدولة والبلديات بتوفير أساتذة لهذه المادة وعلى نفقتها، كلما وجد تلاميذ مسلمون يرغب آباؤهم في تدريس الدين الإسلامي لأبنائهم وبناتهم. وكان المركز الإسلامي بالعاصمة ببروكسيل هو المكلف باختبار واختيار الأساتذة المؤهلين لهذا العمل.

فكل هذه التجربة جعلتني في أول الأمر أتحفظ على عبارة "الخوف من الإسلام" التي أصبحت تملأ مساحات واسعة وعريضة من الإعلام لا بالغرب ولا بغيره، تحت عبارة "إسلام فوبيا". وكنت أجد أن العبارة بهذه الصيغة المطلقة توحي بأن هذا الموقف من الدين الإسلامي هو موقف لازم له كالصفة "المشبهة عند النحاة"، ولازم لمعتنقيه من طرف غير المسلمين في كل مكان وفي كل زمان ومن دون أي سبب معين. بالنظر لما عشته وذكرته آنفا، فالأمر لا يتعلق بـ "خوف مطلق" من الإسلام بقدر ما هو موقف عدائي من المسلمين وجديد بالأخص بالغرب من دون باقي العالم، وله أسبابه وظروفه. ومن تلك الأسباب ما هو سياسي وما هو عقدي وما هو عنصري. والأسباب السياسية تنقسم إلى قسمين منها الأغراض السياسية من خارج العالم الإسلامي وأخرى سياسوية ومتقاطعة معها في معاداة التدين من داخله.

وللجواب على السؤال "لماذا الخوف من الإسلام"، سنبدأ بحول الله باستعراض بعض التعريفات له من طرف المسلمين من جهة ثم من طرف غير المسلمين من جهة ثانية. ثم ننظر في الأسباب السياسية للتخويف من الإسلام من خارج العالم الإسلامي ولمثيلتها من داخله. ويليها الحديث عن الأسباب العقدية بالغرب تحديدا والتي تأجج فيه هذا النوع من التخويف من هذا الدين. وأخيرا نتناول بالتحليل الأسباب العنصرية. وفي كل مرة سنحرص على تقديم الأدلة التي توضح أن الأمر يتعلق بمجرد ظاهرة سرعان ما تزول بزوال مسبباتها، فتعود بإذن الله الأمور بأحسن ما كانت عليه من قبل لصالح الإسلام والمسلمين. ثم نختم بالموقف السليم من طرف المسلمين من أجل تحدي هذه الظاهرة من جهة

وبما يوجَب عليهم من جهة أخرى اعتبار كل الناس على وجه الأرض مشاريع دعوة وليس أعداء ما داموا غير محاربين لهم ولدينهم، حتى تقوم الأمة بواجب نشر الرسالة الربانية بين كل الناس في كل مكان وفي كل زمان.

أما فيما يخص المراجع والوثائق المعتمدة في هذا الكتيب فهي صنفين. منها بالأساس الوثائق التي يتكلم فيها الغربيون أنفسهم ومباشرة وبلغتهم ومن دون واسطة - ولاسيما الفرنسيون منهم - عن ظاهرة "الخوف من الإسلام" المتفشية فيهم. وتعمدت إيراد النصوص الأصلية المعتمدة في أسفل الصفحة حتى نلمس الظاهرة مباشرة بألفاظ وعبارات المعنيين بالأمر أنفسهم، لأن الترجمة دائما نسبية وقد تخون من غير قصد مراد الكاتب. ولاعتماد هذا النوع من الوثائق أهمية كبيرة من جهة ثانية، بالنظر لوفرة المادة بغزارة ولكون استنطاق المعني بالأمر نفسه أجدى للبحث وللدراسة من أقوال من يتكلم عنهم وبغير لغتهم. أما الصنف الثاني من تلك المراجع المعتمدة فهي الصادرة عن العرب وعن المسلمين، ولكنهم ليسوا المعنيين مباشرة بالموضوع بل يكتبون عنه مثلي كشهود عليه، وكل منهم يدلي بوجهة نظره وبخلفيته الخاصة كعلماني أو إسلامي أو مجرد أكاديمي. وهذا هو شأن كل المراجع باللغة العربية في الموضوع التي صدر منها قدر غير يسير ولكنها غير متوفرة بالقدر الكافي في المكتبات وفي الخزانات. وعلى أهميتها فتبقى الوثائق التي يتكلم فيها الغربيون أنفسهم ومباشرة بلغتهم ذات أهمية أكبر لأنها كالشرب من المنبع، وهذا ما سيكون عليه الأمر إن شاء الله في هذا الكتيب.

الفهرس

توطئة..2
تعريف الإسلاموفوبيا...................................6
مظاهر الإسلاموفوبيا بالغرب 11
من أسباب ظاهرة الإسلاموفوبيا 18
1. الأسباب من خارج العالم الإسلامي...............18
2. الأسباب من داخل العالم المسلم 21
3. الأسباب العقدية...................................23
4. الأسباب العنصرية..................................29
من مظاهر مكافحة الإسلاموفوبيا..............................32
الــــخــــــــلاصــــــــة 36
الـمصــادر والـمــراجـــع 37

تعريف الإسلاموفوبيا

قبل الخوض في تحديد وتحليل أسباب التخويف والخوف من الإسلام، فلا بد من البدء باستقراء آراء بعض من اهتموا بالموضوع والتعليق عليها حتى نتمكن من تعريف الظاهرة وتحديد مصادرها وملامح ظروفها ومن تم نتمكن من رصد بعض أسبابها وه وموضوع هذا الكتيب.

عُرّف الخوف من الإسلام مؤخرًا في الأدبيات الغربية بتعبير "الإسلامُ فوبيا islamophobie" بمعنى رهاب الإسلام أو الخوف المرَضي منه. وعرفت كلمة "فوبيا" في أحد المعاجم الفرنسية على أنها تعني الخوف القوي أو النفور الغير عقلاني من شيء ما[1]. بمعنى أن كلمة "الفوبيا" المقصود منها هو التعبير عن نوع من الأمراض النفسية. وعرف معجم آخر "الإسلام فوبيا" على أنها شكل معين من أشكال العنصرية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين بصفة عامة، والتي تتجلى في فرنسا وفي غيرها بالغرب في أعمال عنف مادي أو معنوي أساسه حقد عرقي وتمييز ضد المهاجرين المغاربيين[2]. وعليه فالخوف من الإسلام أو "الإسلام فوبيا" كما يسميه الغربيون هو في الحقيقة أكثر من خوف مرضي كالخوف من ركوب الطائرة أو الخوف من الظلام، ولكنه مظهر من مظاهر الكراهية العنصرية ضد المسلمين في شكل قوالب نمطية. وه وبذلك عنصرية قائمة على أساس الدين.

وهذا ما جاء في تعريف طوماس دلطومب لعبارة "الإسلام فوبيا". فبحسب التعاريف المستعملة للكلمة، لا بد في نظره، من التمييز بين موقفين أولهما هو الإسلام فوبيا من النوع العنصري بالنظر إلى المسلمين كفئة عرقية. وثانيهما هو كراهية الأجانب، من حيث الاسلام عنصر "أجنبي"، والانتقادات المشروعة على الإطلاق للعقيدة الدينية[3]. وانظر أسفله إلى ما جاء في نهاية كلامه عن مشروعية انتقاد الاعتقادات الدينية على الإطلاق. وسنرى لاحقا أن الأمر محصور في دين الإسلام من دون غيره، رغم وجود ما يقال وبحق في نصوص كتاب العهد الجديد. وسنرى أن حرية التعبير التي يتكلمون عنها كغطاء للهجوم على الإسلام بخاصة، ما هي إلا قناع واهي من أجل تبرير العدوانية ضد المسلمين.

وهناك تعريف آخر للخوف من الإسلام صادر عن مقرر مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة[4]، في دورته التاسعة في سبتمبر 2008. وجاء في النقطة الثامنة من جدول أعماله، أن كلمة إسلام فوبيا ترجع إلى العداء غير المبرر للإسلام والخوف منه، ومن تم الخوف والنفور من المسلمين أو من أغلبهم. ويرجع كذلك إلى المخلفات العملية لهذا العداء الذي يقع ضحيته المسلمون أفرادا وجماعات وإلى إقصائهم من المجالات السياسية والاجتماعية المهمة. هذه الكلمة ابتُكرت للجواب على واقع جديد، المتمثل في التمييز المتصاعد ضد المسلمين والذي تنامي السنوات الأخيرة[5].

---

[1] معجم Larousse

[2] معجم Le Robert édition 2006

[3] المصدر : الصفحة 312 من :

Thomas Deltombe « L'Islam imaginaire : la construction médiatique de l'islamophobie en France، 1975-2005، » Éditions La Découverte 2005

النص الأصلي من نفس المصدر :

« En fonction des définitions possibles des mots utilisés، on doit bien distinguer deux positions : l'islamophobie de type raciste (« musulman » comme catégorie ethnique) ou xénophobe (l'islam comme élément « étranger ») et la critique légitime des dogmes religieux، quels qu'ils soient. »

[4] Mr Doudou Diène le rapporteur spécial des Nations unies

[5] المصدر:

Rapport du CONSEIL DES DROITS DE L'HOMME Neuvième session Point 9 de l'ordre du jour. Dans NATIONS UNIES Assemblée générale Distr. GÉNÉRALE A/HRC/9/12 2 septembre 2008

النص الأصلي من نفس المصدر :

«Ce terme réfère à une hostilité non fondée et à la peur envers l'islam، et en conséquence la peur et l'aversion envers tous les musulmans ou la majorité d'entre eux. Il se réfère également aux conséquences pratiques de cette hostilité en termes de discrimination، préjugés et traitement inégal dont sont victimes

وهذا التعريف فيه جانب كثير من الصواب، لأن أصل الخوف يكون من خطر حقيقي وملموس. بينما الخطر هنا وهمي. فالخوف من الإسلام كما جاء في هذا التقرير هو بالأحرى نابع من الشعور بالكراهية والعدوان ضد مجموعة بشرية معينة في فترة محددة وبمكان معين ولأسباب طارئة، سنفصل فيها لاحقا إن شاء الله.

في إضافة كلمة " فوبيا" إلى الإسلام إشارة واضحة إلى أن "الإسلام فوبيا" ظاهرة مرضية. عرف إذن بأنه خوف مرضي من الإسلام. ولكن للبعض تحفظ على هذه الكلمة في تعريف ظاهرة "الخوف من الإسلام". فبما أنه لا يقتصر على حالات انفرادية، بل يعمّ وينتشر، فه وأشبه بالوباء، مع فارق أساسي، أنّ الوباء ينتشر "رغما" عن الإنسان الذي يسعى لمكافحته كوباء كورونا مثلا. فإن لم يتراجع انتشار المرض يضاعف الإنسان السوي جهوده ويبتكر المزيد من وسائل المكافحة. أما "الخوف المرضي من الإسلام"، فهو، على عكس أي وباء، ليس مجرّد خوف تلقائي لأسباب ما، بل كما سنرى لاحقا، يُصنع صنعا، بعمليةِ تخويف، ويُستخدم كأداة من أجل تحقيق أغراض محددة. وعلى عكس أي مرض أيضا، فصانع هذا الخوف من الإسلام، إن رصد ضعفا في مفعوله، بذل الجهد للزيادة فيه، من أجل مضاعفة حدّة الجانب "المرضي" فيه، مع الزعم أنّه يشك ومنها ويريد مكافحتها. وعليه فظاهرة "الخوف المرضي من الإسلام" أصبحت بهذا المنظور ظاهرة "تخويف" غير مرضية من الإسلام، بل هي عملية مقصودة بحد ذاتها[1].

ويرى آخر أن "ظاهرة الخوف من الإسلام" هي نتيجة لسلوك عند الغربيين بالتحديد، والغاية منه هو التغطية على النزعة العدوانية عندهم ضد كل ما هو إسلامي واستيعابه وقبوله بوصفه رداً على "عدوانية المسلمين" بزعمه. حتى لا يظهروا هم أنفسهم كعدوانيين من جهتهم[2]. ومن قبيل هذا السلوك العدواني المقنع ضد "عدوانية المسلمين" المزعومة وضد مشاعرهم – الرسوم الكاريكاتورية نموذجا – جاء هذا الهجوم على الإسلام والمسلمين مبررا بحرية التعبير وبذريعة الحفاظ على القيم الغربية من ديمقراطية وحرية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة على الخصوص، في مقابل تعاليم دين"رجعي وهمجي" بزعمهم.

ويؤكد هذا السلوك العدواني المقنع الباحث الفرنسي فانسان جيسير[3]Vincent Geisser في كتابه "موضة الخوف الجديد من الإسلام وكرهه"[4]. ففي نظره "الاسلام فوبيا" هي من قبيل التعبيرات الكامنة في سلوكيات وأفعال عدائية ضد المسلمين "تظللت"، بمعنى لبست قناع الخوف من "الإرهاب" بعد حادث 9/11 [5]. ولكن الكاتب لم يتطرق هنا لمسببات الظاهرة، لأنها لم تكن قائمة إبان الحرب الباردة، بل كان الغرب وأمريكا بالخصوص إلى جانب المجاهدين في أفغانستان ضد القوات السوفيتية، وكان العالم الإسلامي، بالنظر إلى معتقداته الدينية بالذات المتنافرة مع الإلحاد، حليفا قويا لنفس الغرب ضد المد الشيوعي.

وهناك خصوم الإسلام البارزين في الغرب من كتاب وصحفيين وساسة وناشطين في المجتمع المدني والذين اتخذوا موقفا مضادا من عبارة "إسلام فوبيا". ويزعمون بأن العبارة وُجدت ليس بسبب الخوف من الإسلام والمسلمين ولكن لردعهم هم بالضبط وصدّهم عن انتقاد الدين الإسلامي. ويجدون في العبارة شبهة الاتهام بمرض في حق كل من ينتقد الدين الإسلامي والمسلمين. يقولون أنها تستعمل ضدهم بقصد وصفهم بمرضى عنصريين وبغرض إرهابهم وإسكاتهم حتى يكفوا عن مهاجمة الإسلام. وكل ذلك في نظرهم ضد قيمة من قيم الغرب ألا وهي حرية التعبير.

ولكنها الذي يغضون عنه الطرف أو يتناسوه هو أنها نفس الحرية التي تظلل بها العنصريون لقرون طويلة لاضطهاد اليهود بسبب دينهم حتى نهاية العالمية الثانية. ولم يجد اليهود آنذاك ملاذا آمنا طوال كل ذلك التاريخ إلا في كنف العالم الإسلامي الذي يتجرأ اليوم أحفاد نفس العنصريين لاتهامه بكل ما يحل ولهم من شتائم. ويتساءل أحدهم

---

les musulmans (individus et communautés) et leur exclusion des sphères politiques et sociales importantes. Ce terme a été inventé pour répondre à une nouvelle réalité: la discrimination croissante contre les musulmans qui s’est développée ces dernières années.»

[1] نبيل شبيب: بموقع مداد القلم

[2] ادرسي هاني أستاذ الفكر الإسلامي والإلهيات والمنطق بدمشق.

[3] عضو في معهد البحوث والدراسات المتعلقة بالعالم العربي والإسلامي

[4] Vincent GEISSER La Nouvelle Islamophobie، ، édition La Découverte، septembre 2003

[5] من موقع: http://www.arabicdream.com

مستاء من عبارة "إسلام فوبيا" قائلا، هل لا يزال ممكنا ، في أرض فولتير Voltaire، الكتابة عن الإسلام من غير تمجيده وللتعبير عن رفض ظلاميته من دون الاتهام بالانتماء الى فئة العنصريين المرضى بالخوف من الإسلام ؟[1]

ويرد عليه Alain Gresh[2] بذكر نصوص من التوراة (المحرفة طبعا) منافية لحقوق الإنسان، ولا يستطيع أحد اليوم التهجم على اليهود أصحاب هذا الكتاب ولا على البروتستانت الذين تبنوه إضافة "للعهد الديد" مخافة اتهامه بمعاداة السامية، لما تسببت فيه هذه العنصرية ضدهم من مآسي، والتي يود عنصري واليوم ممارستها ضد الأقلية الجديدة الممثلة في المسلمين بالغرب[3]. وجاء كدليل على ماء ما يقول بهذه النصوص من "العهد القديم" التي لا يجرأ أحد اليوم على انتقادها، بينما يتجرأ على انتقاد الإسلام من غير وجه حق. وهذه ترجمة للنص المذكور: "7: 24.إن الرب إلهكم سيسلمك هذه الأمم وسيلقي فيها ذعرا كبيرا حتى تباد. 7: 23 وسيلقي ملوكها بين يديك ، وستمحي أسماءهم من تحت السماء ، ولن يواجهك منهم أحد ، حتى تبيهم جميعا" صفر التثنية من العهد القديم. اهـ[4]

وعلق الكاتب على هذا النص متسائلا هل هذه الدعوة إلى الإبادة الجماعية مصدرها القرآن؟ لا ، بل هي مأخوذة من العهد القديم[5]. والذي لم يذكره الكاتب هو أن مثل هذا النص أجاز للمستوطنين البروتستانت القادمين من الغرب، وبدم بارد وبراحة ضمير، إبادة شعوب أمريكا الشمالية والجنوبية وشعب أستراليا، واستعباد من تبقى منهم. وحتى اليوم لا زال الصهاينة بدعم من الغرب نفسه يستمدون وحشيتهم من مثل هذا النص من "العهد القديم" ضد الفلسطينيين. أما باسم الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين، فلم أبدا يُبد ناشروه أي شعب ولا استعبدوه، بل كرّموها وحافظوا على مقومات ثقافاتها من لغة وعادات وأطعمة ولباس، ما لم تتعارض مع دائرة الحرام الضيقة. وغالبا ما لم يحكموهم بل ذاب فيهم من بقي منهم بينهم بالمصاهرة، وحُكمت تلك الشعوب من طرف سادتهم. فلم تكن أبدا حملات الإسلام استعمارية بل كانت ناشرة لرحمة رب العالمين بين شعوب الأرض التي حملت بدورها نفس المشعل لتنشر نور ربها بجوارها. وهذا ما يتوقف حتى الغربي المنصف عن ذكره إما نفاقا وإما خوفا من خصوم الإسلام ببلده.

وللمزيد من تبيان نفاق الغربيين المعادين للإسلام والمسلمين تحت ذريعة حرية التعبير، والذين يرفضون في حقهم تهمة "الإسلام فوبيا"جاء نفس الكاتب بنص آخر من "العهد القديم" الذي فيه إهانة للمرأة تستحق بحق الانتقاد ولكن ولا يجرؤ أحد منه على انتقاده بل قل ليس لهم منفعة في ذلك كما يحل ولهم انتقاد الإسلام بغير وجه حق وإنما لمجرد حقد مرضي ضد المسلمين. والنص الذي أورده الكاتب يقول بأن المرأة تكون تحت إمرة الرجل. والمرأة التي لا ترتدي الحجاب فلتقص شعرها. وليس على الرجل تغطية الرأس لأنه صورة لمجد الإله. أما المرأة فهي مجد الرجل. ولم يُخلق الرجل للمرأة ولكن المرأة هي التي خُلقت للرجل، ولهذا يجب عليها تغطية الرأس كعلامة على تبعيتها للرجل"[6] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس من "العهد القديم"

---

[1] النص الأصلي والمصدر :

"Est-il encore possible، au pays de Voltaire، d'écrire sur l'islam et l'islamisme autrement que de façon apologétique، « islamiquement correcte »، d'exprimer son refus de l'obscurantisme islamiste sans être ipso facto rangé dans la catégorie diabolisante de « l'islamophobie » et du « racisme »?" Alexandre del Valle Le Figaro le 14/06/2002

[2] رئيس تحرير أسبوعية : Le Monde diplomatique

3 Le Monde diplomatique - novembre 2001 — Page 32

[4] النص الأصلي بنفس الصفحة من بنفس المصدر:

« Le seigneur ton Dieu te livrera ces nations et jettera sur elles une grande panique jusqu'à ce qu'elles soient exterminées. Il livrera leurs rois entre tes mains، tu feras disparaître leur nom de sous le ciel، aucun ne tiendra devant toi، jusqu'à ce que tu les aies exterminés. »

[5] النص الأصلي بنفس المصدر :

"Cet appel au génocide se dissimule-t-il dans le Coran ? Non، il est extrait de l'Ancien Testament" (Deutéronome 7، 23 et 24).

[6] النص الأصلي من نفس المصدر

« Le chef de la femme، c'est l'homme (...). Si la femme ne porte pas le voile، qu'elle se fasse tondre. (...) L'homme، lui، ne doit pas se voiler la tête : il est l'image de la gloire de Dieu ; mais la femme

فإذا كانت حرية التعبير تسمح بانتقاد معتقدات الناس فمثل هذا النص هو الأحق بالانتقاد. ولكنه الكره للإسلام هو بالأحرى المحرك لمثل هذه الازدواجية في المعايير. وقد يقول قائل بأن اليهود لا يخرجون في الشارع الغربي بمظاهر تميزهم عن غيرهم وتستفز الغربيين. وهذا غير صحيح. فحيث يتواجد اليهود بكثرة في نيويورك وفي مدينة أنفرس ببلجيكا مثلا يخرج اليهود مميزين عن غيرهم من دون أن يشار إليهم بالبنان.

وهذه بعض صور لليهود اليوم صغارا وكبارا بمدينة أنفرس ببلجيكا مثلا، بمظاهر موافقة لمعتقداتهم، تماما كما يظهرون بها في فلسطين المحتلة ولا سيما بالقدس وبمدينة الخليل.






من مظاهر الجالية اليهودية البلجيكية بمدينة أنفرس

وكغيرهم فلهم الحق في الحرية بالظهور بالمظهر الذي يوافق معتقداتهم ويُعترف لهم بالغرب وبحق بذلك. ولكن نفس الحق لا يُعترف به للطالبات المسلمات مثلا وبموجب القانون في المدارس الفرنسية، ولا يعترف لهم به من عموم خصومهم حتى في الشوارع وفي الأسواق، فيعتبرونه استفزازا لهم ويتحاملون عليهم بانتقادهم وانتقاد دينهم، بغرض تخويف غيرهم من الغربيين على صفاء هويتهم الثقافية والحضارية من تنامي ثقافة أجنبية دخيلة عليهم.

ومن كل ما سبق يتضح أن الخوف من الإسلام هو فقط مجرد ظاهرة لأنها محدودة في الزمان والمكان من كل تاريخ هذا الدين. وله عدة أسباب محصور في المجتمع الغربي من دون غيره من دول بباقي العالم الواسع والعريض. والعالم الإسلامي الفسيح بمئات الملايين من المسلمين معروف لباقي ساكنة الأرض منذ قرون وليس بدعة هذ الزمان. فلم يكن يوما معزولا ولا مجهولا. وشاء الله أن يحتل الموقع الوسط من الكرة الأرضية من جهة وجهها المتعارف عليه عالميا كما هو واضح باللون الداكن على الخريطة التالية.



مساحة العالم المسلم باللون الداكن

والغرب حيث تنحصر ظاهرة الخوف والتخويف من الإسلام والمسلمين لمختلف الأسباب، محدود هو نسه جغرافيا بالنسبة للعالم الإسلامي وبالنسبة لكل العالم. فه وموجود في ركن واحد فقط من الأركان العديدة والمحيطة بكل العالم الإسلامي. فيوجد جزء منه من جهته الغربية الشمالية والمتمثل في كندا والولايات المتحدة، وتوجد أوربا الغربية في شماله الغربي علاوة على أستراليا بجنوبه الشرقي. ولا عداء ولا خوف من الإسلام ولا من المسلمين بكل باقي العالم الفسيح والمحيط بالعالم الإسلام من كل باقي الجهات.

est la gloire de l’homme. (...) Et l’homme n’a pas été créé pour la femme، mais la femme pour l’homme. Voilà pourquoi la femme doit porter sur la tête la marque de sa dépendance. »

فلا خوف من الإسلام بكل أمريكا اللاتينية وأغلب شعوبه مسيحية، ولا بكل روسيا ولا بكل أوروبا الشرقية فيما عدى صرب يغوزلافيا السابقة، وكلها مناطق أغلب سكانها ينتمون لمختلف الكنائس الأرتدكسية. ومن بين كل هذه الأقوام أقليات مسلمة من نفس الأصول "العرقية". ولا خوف كذلك من الإسلام لا بجنوب العالم الإسلامي بباقي أفريقيا ولا بشرقه بالهند والصين ولا بكل دول جنوب شرق آسيا حيث تتركز مختلف الملل الوثنية وحيث يتعايش بسلام ومند قرون كل الوثنيين مع غالبية المسلمين على وجه الأرض، والتي هي شعوب غير وافدة عليها بل هي مرة أخرى من نفس الأصول "العرقية". وبكل هذه البقاع من الأرض ديمقراطيات عديدة وعريقة وحضارات مختلفة ذات تقدم علمي وتقني وتكنولوجي وليس بها أي خوف لا من الإسلام ولا من المسلمين. بل في أشد الأزمات ضد اليهود بنفس الغرب وطيلة تاريخه ما وجد بن وإسرائيل الأمان والملجأ الآمن إلا في أحضان العالم الإسلامي من بين المسلمين.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فليس الإسلام هو كل شيء في حياة كل المسلمين بكل بقاع العالم الإسلامي وطيلة التاريخ الإسلامي حتى ينسب إليه كل ما يقع فيه. وهذا ما جاء وبحق في كتاب "Covering Islam"[1] للكاتب الأمريكي الفلسطيني إدوار سعيد، حيث قال بأنه عند الحديث عن الإسلام ، غالبا ما نغض فيه الطرف عن بعدي المكان والزمان في تاريخه. ويعود إلى كلمة الإسلام قدر صغيرة نسبيا من كل ما يحدث في العالم الإسلامي الذي يغطي مليار نسمة، موزعة بين العشرات من الدول والمجتمعات والتقاليد واللغات، وبالطبع ،عدد لا حصر له من التجارب المتميزة. فمن الخطأ محاولة حشر كل ذلك في شيء إسمه "الإسلام".[2]

وفي الأخبار ب TV5 Monde وعن الأخبار بالقناة السويسرية، عشية يوم الجمعة 8 أبريل 2009، استُفسر كاتب يهودي عن كتابه "قضية مادوف L’affaire Madov" المتعلق باليهودي الأمريكي المتورط في جريمة اختلاس الملايير من الدولارات عن طريق النصب والاحتيال. وعلّق الصحفي عن الحدث بقوله أن مثل هذا الإجرام ليس بالطبع حصرا على اليهودي بل هو وأمر عادي يطال كذلك المسيحي والمسلم. وهذه الزيادة في الحديث عن الكتاب لم تكن بلا شك عفوية، بل الغرض منها تبرئة ساحة الدين اليهودي من المسؤولية عن الجريمة، حتى لا يتبادر إلى ذهن المشاهد أن الأمر كذلك، كما اعتاد الإعلام إلصاق جريمة كل مسلم بالإسلام.

وقبل التفصيل في الأسباب فما هي أولا مظاهر هذا الخوف والتخويف من الإسلام من جهة ؟ ثم ما هي من جهة ثانية مختلف الدوافع التي جعلت منه مجرد ظاهرة تختفي باختفاء تلك المسببات وجعلته من جهة ثالثة منحصرا في الغرب وحده من دون غيره؟

---

[1] Edward W. Said، « Covering Islam »، Vintage، Londres، 1997 \ Le Monde diplomatique - novembre 2001 — Page 32

[2] الصفحة 41 من نفس الكتاب أعلاه والوارد في جريد Le Monde diplomatique - novembre 2001 — Page 32 .
النص الأصلي من الجريدة:

« Le terme islam définit une relativement petite proportion de ce qui se passe dans le monde musulman، qui couvre 1 milliard d’individus، et comprend des dizaines de pays، de sociétés، de traditions، de langues et، bien sûr، un nombre infini d’expériences distinctes. C’est tout simplement faux de tenter de réduire tout cela à quelque chose appelé “islam»

مظاهر الإسلاموفوبيا بالغرب

طيلة العقدين الأخيرين من القرن الماضي وحتى اليوم، تعددت المظاهر التي تنم عن الخوف من الإسلام وعن التخويف من المسلمين. فمنها الأمنية والعنصرية والسياسية وأخطرها وأقواها الإعلامية. ومن تلك المظاهر التي يمكن لأي متتبع رصدها عبر عموم الإعلام العالمي، ما يلي :

في هذا الصدد جاء تصريح الأمين العام للحلف الأطلسي البلجيكي Willy Claes سنة 1989 مباشرة من بعد سقوط جدار برلين، الداعي للتصدي للخطر الأخضر بعد سقوط الخطر الأحمر. ويتبنى الإعلام الغربي هذا التوجه، ومنه على سبيل المثال اتفاق جل الأكاديميين الأمريكيين على أن الأصولية الإسلامية أصبحت سريعا التهديد الرئيسي للسلم والأمن العالميين، وهذا التهديد مماثل للنازية والفاشية في 1930 والشيوعية في 1950"[1]

وبالنظر لكتاب الرئيس السابق نيكسون[2]، فالأمر ليس فقط متعمد ولكنه كما سيأتي التفصيل فيه لاحقا، يعبر ضرورة حيوية بالنسبة لبقاء الغرب وحدة متكتلة ومتكاملة ضد عودة تضارب المصالح وتصفيتها فيما بينها مرة أخر بحروب طاحنة تمزق أوصالها وتعيث فسادا في شعوبها. وعليه فمن دون عد وخارجي وحدهم ضده ليس بينهم من قواسم مشتركة قوية وذاتية تغنيهم عن ابتكار كل مرة عدوا جديدا يوحد صفوفهم. قيمه قائمة فقط على المصالح، والمصالح مثار خلاف يؤدي حتما إلى نزاعات وحروب. فلا زال الحذر قائم حتى اليوم بين الغرب وروسيا وريثة الاتحاد السوفياتي.

وتدعم هذا التوجه الانتهازية السياسة إثر كل الأحداث المؤسفة التي يجري البحث فيها عن شواهد لتعزيز حكم مسبق أكثر من البحث عن الشواهد للتوصل إلى حكم صحيح. وكمثال على ذلك قال رئيس الوزراء الهولندي جان بيتر بالكينيده الذي جاء في حديثه أمام البرلمان الأوروبي في ستراسبورج[3] أن الجماعات الإسلامية تغرس الكراهية، وذلك إثر احتجاج المسلمين بالغرب ضد الإساءة إلى معتقداتهم وضد اعتداءات إسرائيل على إخوانهم الفلسطينيين وعدوان قوات التحالف على العراقيين والأفغان. كل تلك الاحتجاجات والتظاهرات يفسرها الساسة والإعلاميون الغربيون على أنها كراهية ضدهم وضد حضارتهم وثقافتهم، ويصورونها ككراهية مستمدة من نصوص القرآن الكريم وشريعة الإسلام. وبذلك تصبح كراهية عموم الغربيين للمسلمين والخوف منهم مبررين كرد فعل على كراهية سابقة منهم. لسان حال هذا الوزير يقول للغربيين إن كنتم تكرهون المسلمين فلأنهم سبقوكم به ضدكم وضد حضارتكم. وترسيخ مثل هذه الكراهية في نفوسهم يرسخ خوفهم ممن يكرهون.

ومن تلك المواقف السياسية المتناقضة مع الحرية التي تدعي فرنسا أنها مهدُها وأصلها وفي طليعة المنافحين عنها، جاء سَنّ قانون منع ارتداء الحجاب بمدارسها[4]، ولا زالت تشجع باقي الدول الغربية على الاقتداء بها، وحجتها مرجعيتها المقنّعة والغير مقنعة في ذلك هي الاقتداء ببلدين مسلمين. ول وصرحت أن كل من البلدين هما مثالين في الحرية والديمقراطية لصحّ تبريرها، ولكنها من فرط النفاق، ما زالت تعارض تركيا في التحاقها بالمجموعة الأوروبية بسبب حقوق الإنسان، وتستهدف البلد الآخر بتهمة المس بنفس الحقوق كلما دعت مصلحتها لذلك.

---

[1] النص الأصلي ومصدره من جريدة Le mode diplomatique

« Le fondamentalisme musulman devient rapidement la menace principale à la paix globale et à la sécurité، Cette menace est semblable à celle du nazisme et du fascisme dans les années 1930، à celle des communistes dans les années 1950 » « Another Despotic Creeds Seeks to Infiltrate the West »، International Herald Tribune، 9 septembre 1993.

[2] من كتاب " الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة؟" تحليل لكتاب "الفرصة السانحة" للرئيس السابق ريتشارد نيكسون.ص: 16

[3] http://news.bbc.co.uk

[4] قانون منع حمل "الرموز الدينية السافرة بالمدرسة" المصادق عليه بالجمعية الفرنسية يوم 10 فبراي 2004.

يتم الترويج للكُتاب الغربيين من خصوم المسلمين مثل Alexandre Del Valle[1] الذي نُشر له في عام 2002 كتاب تحت عنوان: "Le totalitarisme islamiste à l'assaut des démocraties" أي "الشمولية الإسلامية تنقض على الديمقراطيات" والذي كانت شُهرته قد ترسخت وتلقى دعم كل وسائل الإعلام التي تبحث عن الإثارة. وفي الآونة الأخيرة زاد على ما سبق ظهور كتابات إعلامية وكتب، تساهم في "التخويف" بصياغة موجّهة إلى العامة مع محاولة إعطائها خلفية "بحث علمي" لمجرّد كثرة الاستشهادات فيها، وهذا أسلوب يعتمد على الجهل العام بالإسلام، فلا يكاد القارئ العادي من عامة الأوروبيين من غير المسلمين يملك القدرة على التمييز بين الحق والباطل في تلك الكتابات، ناهيك عن إمكانية كشفه عمّا لا تذكره عمدا مع وجود ضرورة ذكره من زاوية الأمانة العلمية.

ومن ألأكاديميين بالولايات المتحدة من يكتب ليس لتخويف عامة الغربيين من الإسلام، بل لساستهم حتى يبنوا سياساتهم الخارجية واستراتيجيات الأمن القومي ببلدانهم على أساسها. وعلى رأس هؤلاء سموئيل بي هنتنتون[2] الذي يزعم في في كتابه "الإسلام والغرب، آفاق الصراع" أن الفوارق الدينية هي التي ستكون المصدر الأساسي لصدام الحضارات مستقبلا. بعد انهيار المعسكر الاشتراكي يتصور أن الصراع لن ينتهي بين البشر، بل سيستمر بآخر صراع في العالم على أساس اختلاف الثقافات بين الشعوب وبين الأديان بالخصوص. ويسكون طرفا هذا الصراع هما الحضارة المسيحية اليهودية "المتطورة والمتقدمة" من جهة و"الإسلام والكنفوسيشية" المتشبثتان بالتقاليد البالية والعادات القديمة من جهة ثانية، باستثناء اليابان الذي تأمرك إلا حد ما في نظره.

ويحدد مناط وطبيعة الخلاف والتباين بين الكتلتين اللتين ستشكلان طرفي هذا الصراع الأخير بين بني البشر في العناصر التالية:

1) العلاقة بين الله والإنسان
2) العلاقة بين الفرد والجماعة
3) العلاقة بين المواطنين والدولة
4) والعلاقة بين الآباء والأبناء
5) والعلاقة بين الزوج والزوجة
6) اختلاف الرؤى في الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات والحرية والمساواة[3]

ويعطي الكاتب كمثال مصغر لهذا الصدام الحضاري المستقبلي، مجابهة ورفض القومية الفرنسية لتنامي حضارة دخيلة عليهم من طرف المهاجرين المغاربيين، ثقافة عربية وإسلامية طالما احتقروها وحقروها، ويخافون منها على هويتهم. ومثل هذه الكتابات الأكاديمية غزيرة وتغذي الخوف من الإسلام ومن المسلمين بالغرب على أعلى صعيد اجتماعي وسياسي.

يتواتر حتى اليوم وفي كل مناسبة وحتى بغير مناسبة، استدعاء واستجواب واستفسار الإعلام الغربي لمجموعة من "خبراء الخوف والتخويف" من دون غيرهم، وتقديمهم للجماهير الغربية وغيرها تحت يافطة islamologues[4]. فيحللون ويفسرون ويُنظّرون ويتكلمون عن المسلمين وكأنهم مخلوقات غريبة حلت مؤخرا بالأرض، فوُضعت للدراسة والتحليل في مختبرات معقمة وتحت المجهر كما تخضع الحشرات والفيروسات الخطيرة لمثل هذه الدراسة مع قفازات من البلاستيك الأبيض من طرف الأكاديميين. وكمثال على ذلك هذا التعليق بجريدة لوفيكار والفرنسية من أحد الصحفيين السينمائيين الذي يقدم على أنه من"المتخصصين" في الإسلام، حيث يقول بأن الإسلام في حد ذاته ليس معتدلا، ويكفي قراءة القرآن ، المليء بالتهديدات والشتائم من كل نوع كي يقتنع بذلك كل متشك. ويزيد مستفسرا: هل تساءلتم عن سبب وجود مليار مسلم يرزحون تحت أنظمة بعضها أكثر استبدادية من غيرها؟ لماذا الإسلام لا يمكن أن ينفصل عن التخلف بالرغم من توفره على النفط وغيره؟ [5]

[1] مقدم على أنه : spécialiste de géo-politique
[2] Samuel Huntington أستاذ نظم الحكومات ومدير معهد جون إم أولين للدراسات الاسترتيجية بجامهة هارفرد الأمريكية
[3] Samuel Huntington " الإسلام والغرب، آفاق الصراع" ترجمة مجدي شرشر. الصفحتين 11 و12
[4] المدعي التخصص في دراسة الإسلام، ويكون في الغالب من غير المسلمين أو مسلما ولكن من غير علماء الإسلام.
[5] النص الأصلي والمصدر:

وهذا "متخصص" آخر في الإسلام يقول بأنه منذ زمن محمد (صلى الله عليه وسلم: من عندي وليس من عند الكاتب) والإسلام مجرد غزو. ومحمد (صلى الله عليه وسلم) نفسه كان عسكريا غازيا. واليسوع لم يقاتل أبدا بالأسلحة في يده. الفرق إذن أساسي. فمن جذوره ، وفي القرن السابع الميلادي ، وبعد القليل جدا من الوقت - قرنان أو ثلاثة - عرف الإسلام توسعا رهيبا. هذه النجاحات العسكرية جعلت للمسلمين في العصور الوسطى يعتقدون أن دينهم هو الحق. والجهاد سيحمل لفترة طويلة -- وهي ظاهرة التوسع عن طريق الحروب الصليبية - فكرة أن الإسلام لا يمكن أن يكون إسلاما إذا لم يفلح عسكريا. ولذلك لا ينبغي أن يوجد ما يتعارض مع توسيع نطاق الإسلام. هذا هو لب القرآن. في هذا السياق ، نفهم جيدا كيف أن الحركة الإسلامية "التوسعية" ممكنة[1]

واحتل هذا الصنف من المتخصصين في شيطنة الإسلام والمسلمين مساحات واسعة في كل أنواع الإعلام الغربي وفرض أنفسهم فيه كمراجع لا يستغنى عنها، مستفيدين من الغموض الذي يلف هويتهم الحقيقية في أذهان المتلقين الغربيين، والذي يقع ما بين "مستشار الأمير" المغرض والباحث العلمي النزيه.

والهدف من كل ذلك هو شيطنة الإسلام والمسلمين وبناء صورة نمطية وسلبية عنهم يهيمن من خلالها في ذهن ووجدان غير المسلمين والغربيون منهم عل الخصوص، نموذج "المسلم الإعلامي"، في صور منتقاة بعناية:

- ✓ لجماعة من المؤمنين تصلي تراهم من الخلف دوماً،
- ✓ لتجمعات من المسلمين حاشدة تصيح وتهدد،
- ✓ لنساء محجبات يملأن شوارع بعض العواصم الغربية.
- ✓ مسلم ملتح فمه مفتوح وعيناه زائغتان.

ويتم الهجوم المنظم من طرف نفس الإعلام الغربي المغرض على كل الكتابات الغربية المنصفة ضد الخوف والتخويف من الإسلام وعلى كل ما من شأنه الدعوة إلى التعرّف المباشر على حقيقة هذا الدين، باعتبار أن الإنسان يخاف بطبعه مما يجهل. والغرض من كل ذلك الهجوم المنظم ضد مثل هذه الكتابات هو الحدّ من المفعول الإيجابي المتوقع منها والمعاكس لنقيضها الداعي للتخويف من الإسلام والمسلمين. ويصل هذا الهجوم المسعور إلى حد اتهام هؤلاء الكتاب الغربيين مثل François Burgat[2] وغيره بـالتطرف وحتى بالتعاون مع "الإسلاميين" المتشددين. لكن بعد الحرب الأخيرة على غزة بدأ الكثير من مثل هؤلاء الكتاب المنصفين وحتى من بين السياسيين من البرلمانات

« L’islam en tant que tel n’est pas une religion modérée : il suffit de lire le Coran، truffé de menaces et d’imprécations en tout genre pour s’en convaincre ! (...) Vous êtes-vous jamais demandé pourquoi la totalité du milliard de musulmans croupit sous des régimes plus despotiques les uns que les autres ? Pourquoi l’islam ne parvient pas à s’arracher، malgré le pétrole et le reste، au sous-développement ? » Pour un “Vatican II de l’islam” ! » Guy Hennebelle Journaliste de cinéma Le Figaro، 1er octobre 2001.

[1] النص الأصلي والمصدر:

« Depuis Mahomet، l’islam est conquête. Mahomet lui-même a été un combattant militaire، un conquérant ; Jésus n’a jamais combattu les armes à la main. La différence est donc fondamentale. Dès sa genèse، au VIIe siècle، et sur très peu de temps، deux ou trois siècles، l’islam connaît une expansion foudroyante. Ces succès militaires vont confirmer aux musulmans médiévaux que leur religion est dans la vérité. Le djihad va transporter pour longtemps - phénomène amplifié par les croisades - l’idée que l’islam ne peut pas être l’islam s’il ne réussit pas militairement. Rien ne doit donc s’opposer à l’expansion de l’islam. C’est le cœur même du Coran. Dans ce cadre، on comprend assez bien comment l’islamisme est possible » Jacques Rollet، maître de conférences à l’université de Rouen et théologien catholique : Entretien au Point، Paris، 21 septembre 2001.

[2] François Burgat أستاذ في العلوم السياسية ومدير بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي منذ مايو 2008 ومدير المعهد الفرنسي للشرق الأوسط بدمشق.

الغربية، بالتحرر من عقدة الخوف من اتهامهم بالتعامل مع المتطرفين بالعالم الإسلامي، ومن بينهم المستشرق الفرنسي Alain Gresh[1]

اتهام المسلمين بمعاداة وبتهديد الديمقراطية بالغرب : يتم اتهام دين الإسلام بكونه نقيض الديمقراطية فلا يلتقيان. وه وبالطبع ادعاء غير حقيقي بل مغرض ويتكرر باستمرار. فحين تُذكر تركيا أو ماليزيا في الإعلم الغربي يشار على أن كل منهما "ديمقراطية بالرغم من أنها ذات أغلبية مسلمة" أي استثناء في عالم الأصل فيه الاستبداد من طبيعة دينه، هكذا. وكأن الرئاسة في الجمهوريات بالعالم الإسلامي تحولت إلى رئاسات بالوراثة بوحي من تعاليم الإسلام. وكأن كل حُكامها كانوا دائما من الإسلاميين الملتزمين بتعاليم الدين والإسلامي، وكأن المعارضة المضطهَدة فيها هي القوى العلمانية وليست الإسلامية. وكأن الشعوب المسلمة ليست فقط متشبثة بالمستبدين فيها بل تعشقهم وتتفانى في حبهم بوحي من الإسلام أيضا. ومن شأن مثل هذا الادعاء تخويف عموم الغربيين الذين يعتبرون الديمقراطية من أكبر المكاسب عندهم، من أنها مهددة بتواجد وتكاثر المسلمين من بينهم. فيقول أحدهم بأن مبدأ رفض سلطة الكفار عند المسلمين تفسر جل صراعاتهم وحروبهم ضد الكفار في كشمير وفي السودان وفي أرمينيا والشيشان وفي كسوفا ومقدونيا، حيث المسلمون أصبحوا أغلبية.[2] وفي مثل هذا التصريح إيحاء صريح لعموم الغربيين بمشروعية خوفهم من تكاثر المسلمين بينهم.

تعمد تشويه الإسلام وإخفاء حقيقته : يتم عمدا إخفاء الحقائق التي تفند كل الادعاءات الباطلة وتؤكد في المقابل أن الدول والشعوب الإسلامية أظهرت نفس الجدية والحماس التي أظهرتها الدول والشعوب الغير المسلمة في التعامل مع الديمقراطية. وعرف الماضي القريب لأمريكا اللاتينية المسيحية العديد من النظم المستبدة وبدعم من أمريكا، ولم يُتهم فيها أبدا دين المسيحية بمعارضته للديمقراطية. في حين أن أكثر من نصف عدد المسلمين في العالم – والبالغ ما يقرب من 1.4 مليار نسمة - يعيشون في دول ديمقراطية، وتحكمها حكومات منبثقة عن أغلبية برلمانية منتخبة ديمقراطيا مثل إندونيسيا وماليزيا وباكستان وتركيا وبنغلادش وإيران التي تجهر بطبيعة نظامها الإسلامي والتي تناوب على رئاستها ثلاثة رؤساء بانتخابات ديمقراطية من دون اعتراض عليهم، وأخيرا شعب فلسطين الواقع تحت الاحتلال والذي اختار حركة المقاومة حماس بكل حرية وبانتخابات شهد لها العالم بنزاهة نادرة بالدول العربية. وعلاوة على كل ذلك فتواجد ما يفوق مائة وأربعين مليون مسلم بالهند ومن سكانها الأصليين لم يشكل أبدا أدنى تهديد لديمقراطيتها العريقة.

والديمقراطية الحقيقية والنزيهة هي عين مطلب الحركات الإسلامية بجل باقي الدول المسلمة. ولما شهد كل العالم بالنزاهة للانتخابات في فلسطين، وأفضت بانتخاب حماس على حساب فتح، انقلب عليها نفس الغرب وقاطع حكومة إسماعيل هنية رغم كونها تحت رئاسة عباس الذي يرضون عنه، وشجع إسرائيل على حصارها. والغرب متهم بالمساهمة في تدبير الانقلاب على تلك الحكومة الديمقراطية، حتى آلت الأوضاع إلى الانقسام الحاصل حتى اليوم. فبالنظر لكل ما سبق وفي شأن الديمقراطية بالخصوص، يحق للمتتبع أن يتساءل، من أولى بالخوف من الآخر؟ الغربيون من المسلمين أم المسلمون من الغربيين؟

ومن جانب آخر نجد أن تركيا العلمانية نظاماً والمسلمة شعباً خطت خطوات عملاقة في الديمقراطية وأوصلت حزب إسلامي للحكم بالبرلمان وبالحكومة وحتى رآسة الدولة بالرغم من معارضة علمانية قوية، مما أهلها للتفاوض مع الاتحاد الأوربي حول طلب العضوية. والشيء نفسه بالنسبة للسنغال حيث انتصرت الديمقراطية الفتية بأغلبية سكانه المسلمة، حيث تناوب على الرئاسة فيها بطرق ديمقراطية وجد سلمية ثلاثة رؤساء منذ الاستقلال وكان أولهم الرئيس الراحل سيدار سنغور وه ومسيحي.

---

[1] رئيس تحرير جريدة Le monde diplomatique.

[2] النص الأصلي والمصدر:

« Le principe de “refus du pouvoir infidèle” explique (...) la plupart des conflits qui opposent musulmans et “impies” au Cachemire، au Soudan، en Arménie، en Tchétchénie، et même au Kosovo et en Macédoine، où les populations musulmanes sont devenues majoritaires » Alexandre Del Valle: politologue français spécialisé dans les questions géopolitiques liées à l'islamisme، aux questions européennes et au terrorisme. Le Figaro، 25 septembre 2001.

وفي سنة 1990 كانت البوسنة المسلمة تناضل من أجل الحفاظ على قيم التسامح والديمقراطية، فيما كان المتطرفون الكروات والصرب، يذبحونهم باسم العصبية المسيحية الأرطدوكسية المتطرفة، وعلى أرض أوروبا نفسها وفي صمت رهيب من كل الغرب الذي يتشدق بالدفاع عن الدمقراطية وعن حقوق الإنسان، وتحت أنظار الإعلام الغربي المتحيز ضد الإسلام والمسلمين، والذي تعمد غض الطرف عن تلك المجازر[1] كما فعل مع الحرب الأخيرة على غزة، التي كانت فيه أخبارها تأتي بعد العديد من الأخبار العادية ومن دون ما يكفي من الصور الفظيعة والمتوفرة بكثرة من الإعلام العربي. كل ذلك حتى لا تهتز الصورة السيئة التي عمل نفس الإعلام الغربي المغرض على ترسيخها في عقول عموم الغربيين ضد المسلمين.

ومرة أخرى يحق التساؤل، من الأولى بالخوف من الآخر الغربيون أم المسلمون ؟ ألم تكن تهديدات أمريكا بضرب سوريا وإيران تُرهب وتزرع الرعب في قلوب المسلمين وغيرهم بهذين البلدين وغيرهما من بعد ما علموه وعايشوه من مآسي حرب نفس الغرب على شعبي العراق وأفغانستان؟

اتهام المسلمين بالتقيّة المهددة لأمن الغرب : اتهام المسلمين بأن قولهم فيما بينهم وراء جدران مغلقة هو نقيض ما يقولونه علنا. والغرض منه التحذير من السماع لوجهات نظرهم وإثارة الشكوك حول ما يستطيعون إيصاله من حقائق تكذب بالدليل ادعاءات أعدائهم. وتُعزز خصوم المسلمين بالغرب في هذا الصدد، تصريحات وكتابات القلة القليلة من المسلمين من أصحاب المواقف المتشددة والمستفزة، من مثل الذين حاجوا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقال لهم قولته الشهير "كلمة حق يراد بها باطل". ولن يخل ومن مثلهم لا زمان ولا مكان من بين المسلمين، فتُنتقى بعناية مواقفهم وتصريحاتهم وكتاباتهم على الشبكة وعلى غيرها، وتُضخم وتُقدم على أنها الخلفية المخفية لكل المسلمين الذين يتظاهرون نفاقا بزعمهم، بأنهم مسالمون كباقي الناس. ويتعلق الأمر بكتابات بكل اللغات من قبيل "سيحين وقت رجوع الخلافة فيتم غز ووفتح المسلمين للغرب" و"الغرب دار كفر ودار حرب" و"أسلم تسلم..." و"الديمقراطية كفر مطلق" الخ... فلولا طول المعاشرة والعيش المشترك بين المسلمين وعموم الغربيين الذين تعرفوا على بعضهم البعض في الحي وفي أماكن العمل وفي المدرسة، يمكن تصوّر ما يعنيه ذلك من توجس وحيطة وحذر في الاحتكاك والحديث اليومي بين المسلم وغير المسلم.

اتهام المسلمين بالخضوع لسيطرة المتطرفين: اتهام كل المسلمين بالخضوع لتنظيمات إسلامية "متطرفة وسرية" " توجههم وتثير غضبهم وتظاهراتهم واحتجاجاتهم على الإساءات والانتقادات المتكررة والمتعمدة التي تطال معتقداتهم ومقدساتهم. وبذلك ينفون عن المسلمين الغيرة العفوية والطبيعية على مقدساتهم، ولا يعترفون لهم بمشروعيتها ربما لما أصاب الدين عندهم من وهن في نفوس الناس في مقابل العلمانية الكاسحة. والهدف من ذلك الاتهام هو أن يسود الاعتقاد بين عموم الغربيين بأن المسلمين يمثلون "طابورا خامسا" وأن من بينهم "خلايا نائمة" يمكن تحريكها ضدهم في أي وقت من طرف "منظمات متطرفة وإرهابية سرية". ومن هذا القبيل نجد مثل هذا التصريح بجريدة لوفيكار ومكزين، حيث يقول الكاتب بأن ما بين الضربة التي هزت مكة الرأسمالية العالمية (يعني أحداث 11 سبتمبر2001 المنسوبة للأصولية الإسلامية)، وتشدد حركات مكافحة العولمة ، والحركات الانفصالية والمتعصبون للفدراية، يوجد قاسم مشترك وه ومعارضة الدولة ديموقراطية الليبرالية. ويجب عليك أن تكون أعمى حتى لا ترى مدى السرعة التي يجري بها الداء.[2] وفي ذلك إيحاء بأن السلمون بحكم طبيعة دينهم هم من الفوضويين وتكاثرهم مرة أخر في الغرب "العالم الحر" يشكل طابورا خامسا خطيرا على قيمه.

[1] ومنها مزجرة مدينة سريبنيتشا التي كانت سنة 1995 تحت حماية جنود الأمم المتحدة من هولندا، فصفي فيها تحت أنظارهم 8000 مسلم بدم بارد من طرف الصرب.

[2] النص الأصلي والمصدر:

« Entre le coup qui vient d’ébranler La Mecque du capitalisme mondial et le durcissement des mouvements antimondialistes، autonomistes، ultra- fédéralistes، tous adversaires de l’Etat démocratique libéral. Il faut être aveugle pour refuser de voir avec quelle vitesse le mal court » Alain-Gérard Slama، professeur à Sciences-Po، Figaro-Magazine، 6 octobre 2001

اتهام المسلمين بمعاداة حرية التعبير: اتهام المسلمين بمعاداة حرية التعبير وباقي القيم الغالية والمقدسة بالعالم الغربي. ويعزز ذلك بزعم خصوم الإسلام، احتجاجاتهم على نفس الإساءات لمقدساتهم المُتَعمّد استفزازهم بها. والقصد من تلك التهمة أن يشيع بين عموم الغربيين الاعتقاد بوجود تنافر بين االقيم الإنسانية النبيلة عندهم من جهة والمقدسات العقدية المتطرفة عند المسلمين الموجودين من بينهم من جهة ثانية، فيُطعّم الخوف والتخويف والحذر والحيطة منهم.

التحذير من تغلغل الشريعة بالغرب ومن تهديدها للديمقراطية : يتم ذلك بالتشهير بسلوكيات المسلمين المتحفظة من كل المواقف والعادات المتعارضة مع معتقداتهم الدينية. وذهب خصوم الإسلام بفرنسا إلى حد الادعاء بأن الشريعة الإسلامية هي بصدد اختراق القضاء الفرنسي. واستغل لذلك الهجوم على المحكمة الفرنسية بمدينة ليل التي قضت بإنصافٍ وعدلٍ ووفق القانون الفرنسي، بتطليق عروس من زوجها المسلم، بعد أن اتضح أنها ليست بكر ومن بعد ما وقعت في عقد الزواج على أنها بكر. فرفع الزوج دعوة ضدها من أجل فسخ ذلك العقد، وتم إصافه. ويتم دائما التشهير برفض بعض المسلمات فحصهن أو توليدهن من طرف أطباء رجال. ويتم التنديد كذلك حتى بامتناع تلاميذ مسلمين من تناول لحم الخنزير بالمطاعم المدرسية على أساس عقيدتهم، وبامتناع بعض الطالبات المسلمات عن السباحة بمسابح مختلطة وبامتناعهن عن الجلوس بمقاعد المدرسة بجانب طالب.

ويبرر نفس الإعلام الغربي المغرض تشهيره بهذه المواقف من طرف المسلمين والمسلمات بتهديد الإسلام للسلوكيات وللتشريعات الليبرالية بالغرب، وذلك مرة أخر تحت يافطة "تغلغل بوادر الشريعة فيها". ويستشهدون على ذلك بكل وقائع مستجدة من مثل إقدام المسؤولين مؤخرا في أحد مسارح برلين على الامتناع ذاتيا عن تقديم مسرحية فيها إساءات للأديان عامة بما فيها الإسلام، خشيةَ ردود الفعل عليها من المسلمين. وتم التشهير في هذه المرة بهذه الواقعة تحت يافطة "تراجع الدفاع عن الحرية أمام خطر تدخل الشريعة"

نشر الإحصائيات الموحية بتهديد الهوية الغربية : نشر الإحصائيات المفزعة للغربيين. فالأمر يتعلق بإحصائيات متوقعة استقبالا من بعد عقود من الزمن لعدد المسلمين بالغرب. وبغض النظر عن صحتها أو المبالغة فيها، يصدقها المسلمون بحسن نية ويستبشرون بها خيرا، ولكن لا يدرون أن الغرض منها هو بالضبط إخافة عموم الغربيين من استفحال ديموغرافية قوم غريب عنهم يهدد هويتهم وثقافتهم وقيمهم وقوميتهم بالذوبان. ومنها أن سكان الضفة الجنوبية للبحر المتوسط من إفريقيا يزداد بمائة مليون نسمة في الفترة التي يزيد فيها سكان الضفة الشمالية بأوروبا فقط بستة عشر مليون نسمة. ويشير نفس المصدر أنه خلال العقدين المنصرمين فقط, انتقل من هذا الجنوب إلى أوروبا تسعة ملايين مهجر بكل الطرق الشرعية والغير الشرعية من أجل حياة أفضل[1]. وتهتم الكنيسة بالخصوص مع غيرها بالغرب بتلك الإحصائيات التي تشير دائما إلى المقارنة بين تطور عدد المسلمين بالعالم بعدد الشعوب المسيحية اليهودية[2].

التضييق الأمني على المسلمين بالغرب: ومن النفاق المتكرر أنّ السياسيين والمحللين الغربيين الذين يُعتمد عليهم في توصيف المسلمين، يميزون بين عامة المسلمين الراغبين في السلام والتعايش من جهة ، وبين فريق من المسلمين يلجأ إلى العنف غير المشروع من جهة ثانية. ولكنّ الصحيح بمقارنة هذه الأقوال مع الإجراءات التي تتخذها السلطات بالغرب أو تنوي اتخاذها، نجدها تعم كل المسلمين من دون أدنى تمييز وتبدأ الشبهة ضدهم بمجرد الاطلاع على الإسم بالجواز أو ببطاقة الهوية أو برؤية ملامح الوجه، فتكشف عن أنّ التعميم هو الأصل لديهم وليس الاستثناء.

وعمت تلك الإجراءات الأمنية والاحترازية حتى المسيحيين من أصول عربية أو آسيوية من خلال الإسم أو الملامح. وشهد على ذلك المغني مرسيل خليفة المسيحي، والذي احتُجز في مطار نيويورك هو وفرقته لساعات بمصالح أمن المطار لمجرد أنهم عرب، ومن تم فهم مسلمون مشتبه فيهم ووجب التحقيق في هوياتهم من دون باقي المسافرين. ومن هذه الإجراءات التي تعزز الخوف من الإسلام والمسلمين ما يلي وفقط على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] Ingmar Karlsson "الإسلام وأوربا، تعايش أم مواجهة؟". ترجمة سمير بوتاني . ص : 7

[2] إبراهيم أسعيدي ومونية رحيمي "نظرية صدام الحضارات أو التهديد الإسلامي, واقع أم اختلاق" سلسلة الحوار الصفحتين 131 و132

- التفتيش في المطارات يطال كل المسلمين من دون استثناء مهما كان شأنهم، وغالبا ما ينتهزها صغار الموظفين فرصة سانحة للإمعان في إهانتهم وإذلالهم، نساء ورجالا، وبالخصوص من كان شكله وهيئته توحي بأن يستحق الاحترام من بينهم.
- الاحتياطات الأمنية المبالغ فيها في منح تأشيرات السفر،
- ابتكار الجديد من وسائل إثبات الشخصية على جواز السفر والهوية،
- تخصيص قاعدة معلومات عن الأشخاص المشبوهين لدى أجهزة الأمن والمخابرات،
- تبادل المعلومات بين تلك الأجهزة فيما يتعلّق بقضايا "الإرهاب"،
- إباحة ما لا يباح عادة من إطالة فترات الاعتقال والترحيل عن البلد المعني دون قرار قضائي،
- التصنت على الهاتف النقال والثابت ومراقبة استخدام الشبكة العالمية، على أساس (الشبهة) بوجود صلة ما بالإرهاب، وليس على أساس حكم قضائي وإثبات قطعي، مع ملاحظة أنّ هذه "الشبهة" باتت مركّزة على المسلمين بالخصوص.
- مطالبة المسلمين بالتجسس على بعضهم البعض والإخبار بالمشتبه بهم (بريطانيا نموذجا)
- التمييز في العمل على أساس الانتماء للدين الإسلامي خصوصا في قطاع الطيران وفي المطارات الغربية.

وكل هذه المظاهر لا تنم فقط عن نية تعزيز الخوف والتخويف من الإسلام والمسلمين بل من شأنها إن دامت، أن تتحول إلى كراهية وحيطة وحذر متبادل ودائم. إلا أنها بحمد الله محصورة في الغرب من دون غيره، ولها أسباب مختلفة ومتغيرة تجعل منها مجرد ظاهرة، ومهما طالت لا بد أن تختفي بفتور مفعول تلك الأسباب إما من ذاتها لأنها مبنية على باطل فسرعان ما ينكشف، وإما تقع أحداث جديدة فتمحي أثرها ثم تختفي ويختفي معها الخوف الوهمي من الإسلام والمسلمين، ليس فقط في الغرب ولكن بكل العالم، إلا أن الأثر يبقى محصورا ولمدة بالغرب وحده. فما هي تلك الأسباب ؟

من أسباب ظاهرة الإسلاموفوبيا

ومن التعريفات للإسلام فوبيا بأقلام غربية والتي تعيش الظاهرة مباشرة ومن داخلها، يرد الكاتب طوماس ديلطومب[1] أسباب الظاهرة إلى ثلاثة عوامل وهي أولا مخلفات الحرب بالجزائر، ولاشك أنه يعني بها حرب التحرير، ثم إلى الرؤية السائدة بالغرب عن الإسلام وأخيرا ما يسميه بأسلمة أنماط الحياة.[2] وفي تحديد الأسباب بهذا الشكل تبسيط ينم النظر إل الظاهرة من زاوية الكاتب الضيقة وخلفياته. فالظاهرة جديدة ومتأخرة جدا عن حرب التحرير بالجزائر. وصحيح أن الرؤية إلى الإسلام كانت دائما مشوهة بالغرب ولكن لم تكن مخيفة كما هي عليه الحال اليوم. فلا بد من شيء جديد جعلى تلك الرؤية مخيفة لبعض الغربيين. أما فيما يخص أسلمة أنماط الحياة فالأمر يخص الأقليات المسلمة بالغرب وبالفعل الظاهرة تتنامى بحمد الله وبقدر ما يعتز بها المسلمون بقدر ما تثير حقد خصوم الإسلام فيثيرون حولها الشبهات المهددة للهوية الغربية بغرض التخويف منها ومن المسلمين. ولهذا فأسباب ظاهرة الخوف من الإسلام بالغرب لها بلا شك عوامل كثيرة، منها الخفية ومنها الظاهرة ومختلفة في درجات التأثير. فلا يمكن حصرها، ولكن يمكن تعداد الأهم منها، وذلك ما سنحاول تناوله في هذا الفصل بعون الله.

فمن تلك الأسباب ما هو سياسي من خارج العالم الإسلامي، ومنها ما هو سياسوي من داخله، ومنها الدوافع العقدية، ومنها أخيرا الكراهية التي أساسها العنصرية. وفي ما يلي تفاصيل تلك الأسباب التي ستشكل إن شاء الله محاولة للجواب على سؤال هذا الكتيب: "لماذا الخوف من الإسلام" ومشفوعة كلما اقتضى الحال بالآثار ليست فقط السلبية وإنما العكسية لصالح الإسلام والمسلمين.

I. الأسباب من خارج العالم الإسلامي

ضرورة إيجاد عدو خارجي: فبعد الحرب الباردة ظهرت في الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة إيجاد عد ومشترك جديد حتى تبقى الكتلة الغربية موحدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعسكريا، بعيدا عن الصراعات القومية التي مزقتها لقرون من الزمن قبل الحرب العالمية الثانية. وعليه فبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الإمبراطورية العظمى فُتح الباب أمام الإعلام الغربي وكُتابه وساسته لجعل الإسلام هو العد والبديل عن الاتحاد السوفيتي.[3]

إلا أن هذا التخويف من الإسلام لم يعد قائما على أساس وجود عد وحقيقي ملموس، كما كان الحال مع الاتحاد السوفيتي الممثل في صورة دولة بعينها ونظام محدد وفي باقي الكتلة الشيوعية سابقا، بجيوشها وبترساناتها العسكرية التقليدية منها والنووية. وإنما العد والجديد هو عد وهلامي وضبابي صورته في المخيال الغربي عبارة عن جماعات "أصولية" متطرفة وخفية أو ظاهرة، ولكن متشردمة في شكل عصابات "إرهابية" تعمل في السر ولها "خلايا نائمة" لا يعرف لها مكان محدد بالضبط في كل العالم.[4]. الشيء الذي يجعل هذا "الخوف من الإسلام" كالخوف من فيروس فتاك وخفي، والخطير فيه هو كون كل مسلم أو كل شيء يمت بصلة للإسلام من مسجد وكتب وغيرها مشبوهة بحمل ذلك الفيروس الخفي.

---

[1] المصدر :
Thomas Deltombe ،« L'Islam imaginaire : la construction médiatique de l'islamophobie en France، 1975-2005، »

[2] . النص الأصلي بنفس المصدر في الصفحة 263
« Trois éléments clés de la peur de l'islam: le traumatisme de la guerre d'Algérie، la visibilité de la religion musulmane et la crainte de l'islamisation des modes de vie »

[3] المصدر: كتاب " الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة؟" تحليل لكتاب "الفرصة السانحة" للرئيس السابق ريتشارد نيكسون.ص: 16
و من كتاب Ingmar Karlsson "الإسلام وأوربا" تعايش أم مواجهة. ترجمة سمير بوتاني. ص : 5

[4] نفس المصدر ص : 5

الانتهازية السياسوية في الحملات الانتخابية : أصبحت الانتهازية في الحملات الانتخابية غير قاصرة على اليمين المتطرف بل تستعملها كل من وجد فيها ضالته لكسب صوت الناخب, لا من باقي الأحزاب ولا من طرف المرشحين. وهذا ما استنكره في جريدته جان دنييل باتهامه للحكومة الاشتراكية في 1983 تغدية التطرف ضد الإسلاميين من دون تمييز ومن دون خجل والذي نراه يتنامى من جديد وبخاصة مع الأسف من بين الطبقات الشعبية في فرنسا وأوروبا[1].

ولكن الأقلية المسلمة حازت في كثير من الدول الغربية على حق التصويت في الانتخابات، سواء عن طريق التجنيس أو عن طريق قانون خاص يمنح هذا الامتياز للمقيمين الأجانب. فأصبح المرشح للانتخابات ينظر في استعمال الإسلام في حملته بمعيار حساب الربح والخسارة. وعليه يبني حملته في التعاطي مع هذا الدين. فإذا وجد أن ما يجنيه من ربح باستعمال الإسلام في حملته أكبر من الخسارة فعل, وإلا كف عن ذلك. وليس في الأمر من أخلاق. وهذه شهادة من الكاتب الفرنسي إيمانيال طود في الموضع، حيث يقول في كتابه "من بعد الدموقراطية"[2] بأن ساركزي وأطر حزبه يرون وسيلة مريحة لجلب ناخبي الجبهة الوطنية، في المبالغة في شأن الإرهاب، وفي المزيد من الضغط في أفغانستان، وفي معارضة دخول تركيا في المجموعة الأوروبية، وفي التهديدات العسكرية ضد إيران، وبالإجمال في تحريك كل موضوع يجعل الإسلام في قلب السياسة العامة[3].

ومن شأن مثل هذا الانتهازية السياسية المتلاعبة بمشاعر الناخب الغربي على حساب مصالح الأقلية المسلمة بالغرب أن تؤكد بل تزيد من التخوف من الإسلام. ولقد سبق لسركوزي في حملته الانتخابية للرئاسة أن تحدث عن دبح الأضاحي بالحمامات بالشقق السكنية. والرسالة كانت موجهة لناخبي اليمين المتطرف حتى يكسب أصواته. وبحساب الربح والخسارة، أحجمت غريمته عن الرد على هذا التعليق، لأن ما كانت ستخسره من أصوات الفرنسيين الغير مسلمين أكبر مما كانت ستكسب من المزيد من أصوات المسلمين على حساب غريمها.

ولكن في بلجيكا وهولندا مثلا، حيث توجد أحزاب مسيحية قوية، وبعد انهيار المعسكر الاشتراكي، أصبحت الأحزاب الاشتراكية بالغرب تفقد باستمرار من نفوذها ومن مصداقيتها. وبمحض الانتهازية السياسوية تنبهت لقارب النجاة في الجالية المسلمة. ويقول في الموضع فانسن جيسر حتى في فرنسا حيث تهيمن العلمانية المتطرفة ضد كل دين، أن المرشحين للانتخابات فيها، لا يجرؤون على قول ذلك لأن القواعد الجمهورية تحذره. فيفضلون تجنب الحديث عن "التصويت الديني أو العرقي". ولكن ضمنا، يعدون استراتيجية لاستقطاب الكتلة الناخبة من أبناء المهاجرين والتي أصبحوا يرون فيها كتلة ناخبة مسلمة[4].

فكانت الانتهازية هذه المرة لصالح المسلمين, من حيث ساندتهم الأحزاب الاشتراكية في نيل حق الانتخاب وأصبحت تعوض في كل استحقاق، ما ضاع منها من الأصوات التي تذهب باستمرار لخصومها من اليمين، بأصوات الناخبين المسلمين. ومن أجل تعبئة الناخب المسلم لم تتردد تلك الأحزاب في إدراج أسماء المسلمين والعرب على لوائحها الانتخابية. وأصبح من بينهم اليوم ليس فقط مستشارين وعمدة ببلديات كبيرة, بل منهم من تبوأ مقاعد بالبرلمان

---

[1] النص الأصلي ومصدره :

« Le gouvernement socialiste nourrit cet anti-islamisme indistinct et de moins en moins honteux que l'on voit refleurir, surtout d'ailleurs, hélas!, dans les couches populaires, en France et en Europe » Jean Daniel, Le Nouvel Observateur, du 4 février 1983

[2] Emmanuel Todd, « Après la démocratie », Gallimard, Paris, 2008.

[3] الصفحة 36 من نفس المصدر

[4] النص الأصلي ومصدره :

" Les candidats n'osent pas le dire, parce que, règle républicaine oblige, ils préfèrent éviter de parler de vote religieux ou ethnique. Mais, implicitement, ils développent bien une stratégie pour capter un électorat qu'ils percevaient depuis longtemps comme un électorat "beur", et que de plus en plus ils perçoivent comme musulman". Vincent Geisser, chercheur au CNRS, Le Monde Politique LEMONDE.FR | 28.02.07

وتقلد مسؤولية حقائب وزارية بالحكومتين ببلجيكا وبهولندا. وعمدة مدينة روتردام الهولندية اليوم هو السيد أحمد بوطالب، الهولندي-المغربي ممن هاجروا فقط بقصد الدراسة. ولقد سبق له بفضل استقطابه من طر الحزب الاشتراكي أن كان كاتب الدولة. وه واليوم عمدة مدينة بها رابع ميناء بأوروبا الذي طوله أربعين كلم، وأغلب الساكنة مرتاحة لتدبيره لشؤونها.

والغريب أنه دائما بحساب الربح والخسارة في الحملات الانتخابية، انقلبت بحمد الله تلك الانتهازية السياسوية لصالح الجالية المسلمة. فكفّت أو على الأقل خفّفت الأحزاب اليمينية بهذين البلدين، من هجومها على الإسلام والمسلمين، لأنها وجدت فيه تعبئة للناخب المسلم ضدها وزيادة في عدد الأصوات لغريمها الاشتراكي من دون زيادة مماثلة في أصوات العنصريين لصالحها التي استنفدتها. فأصبحت ترى في هجومها على المسلمين حملة ضدها والمستفيد منها هو خصمها الحزب الاشتراكي. وهذا هو المتوقع مستقبلا إن شاء الله في باقي دول الغرب، لأن أصوات الأقليات لعبت دائما دورا حاسما في ترجيح الكفة لهذا الحزب أو ذاك. ولولا تلك الهجمات عليهم لما تحرك المسلمون ليكون رقما يحسب له ألف حساب في الانتخابات بالغرب. وهكذا يتبدد مع الزمن سبب من أسباب صناعة الخوف من الإسلام, بحيث حين يصيح اليمين المتطرف قائلا بأن الإسلام يشكل خطرا على الغرب، يرد الاشتراكيون واليساريون عموما بأن اليمين المتطرف العنصري هو الذي شكل خطرا على الغرب كما سبق له شكله في الماضي القريب.

دور الحركة الصهيونية : فهذه الحركة هي حجر الزاوية في تأجيج التخويف من الإسلام والمسلمين بالغرب والحاصل بكل العوامل الأخرى. وبدأت الصهيونية العالمية وبقوة في دعم الخوف والتخويف من الإسلام مع الثورة الإيرانية سنة 1979 التي بدأت للت وبقطع العلاقات مع إسرائيل، وبسليم مقر سفارتها لمنظمة التحرير الفلسطيني كي سفاة لها بالجمهورية الإسلامية الوليدة. وأعقبها منذ الانتفاضة الأولى دخول الحركة الإسلامية على خط المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ولاسيما مع ظهور العمليات الاستشهادية لأول مرة، والتي زادت من رُعب الصهاينة وأربكت كل مخططاتهم. والذي غاضهم أكثر ضد الإسلام هو إفتاء بعض العلماء بمشروعية تلك العمليات وعلى رأسهم الشيخ يوسف القرضاوي بموقعه على الانترنت[1] وعلى الهواء بقناة الجزيرة في برنامجه "الشريعة والحياة".

لما كانت المقاومة الفلسطينية تغلب عليها القومية العربية كان الإعلام الغربي والصناعة السينمائية بهوليود تحت هيمنة الصهاينة، يتفننان ويتنافسان في تصوير العربي بالوحش البربري المستحق لسحقه من دون رحمة ولا شفقة، ولكن من دون الإشارة لا للإسلام ولا للمسلمين. ولما دخل الجهاد باسم الدين على خط المقاومة واتضح أنه أنكى في العد ومن غيره بالعمليات الاستشهادية، تفتق مكر الصهاينة باستغلال سيطرتهم على نفس الإعلام بالغرب من أجل المزيد من استعداء العالم كله على الإسلام وعلى المسلمين. فشرعوا كغيرهم في نبش ما أنتجه الوجه الماكر للاستشراق من كذب وبهتان وروجوا لصورة نمطية للمسلم تسِمُه بالعدوانية والتعطش لسفك الدماء من خلال تعاليم دينه. وكل ذلك بغرض التخويف منه وتبرير وحشية العد والصهيوني ضد المقاومة الإسلامية بغية ردعها، فتستبيح لنفسها الفتك بكل الفلسطينيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ بالإضافة إلى المقاومين أنفسهم، كما فعلت مؤخرا بغزة من دون لا حسيب ولا رقيب ولا مستنكر، بل بمن يبرر إجرامها بحجة حقها في الدفاع عن نفسها وعن أمن كيانها.

ومن عتاة المخوفين من الإسلام والمسلمين بأمريكا وبغيرها، الصهيوني المدع ودانيل بايبس[2]. ومن أقواله بالصحف الأمريكية على سبيل المثال لا الحصر، أن الجماعة الإسلامية المسماة حزب التحرير تهدف الى وضع العالم تحت ظل الشريعة الإسلامية، وكأن هذه الجماعة التي لا يعرف حتى مكان وجودها أصبحت قوة عظمى كالاتحاد السوفياتي بترسانته التقليدية والنووية. ولكن ينكشف سر إقحامه للشريعة الإسلامية في تحذيره منها بغرض التخويف من الإسلام حين استطرد في تصريح قائلا بأن تلك الجماعة تؤيد التفجيرات الانتحارية ضد إسرائيل. فمن أجل أمن لإسرائي عند وجب الخوف من الإسلام والمسلمين والحذر منهم. وحتى يزيد من التشكيك في كل مسلم بالغرب وتهمته بالإرهاب ولا سيما النخبة منهم، أضاف بأن تلك الجماعة التي تم حظرها في بريطانيا العظمى، زرعت في الجامعات البريطانية

---

[1] نص الفتوى من موقع الشيخ القرضاوي "_العمليات التي يقوم بها الشباب المسلم الذي يدافع عن أرض الإسلام وعن دينه وعرضه تعد من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله"

[2] Daniel Pipes أستاذ للتاريخ الروسي في جامعة هارفارد. وهو الابن الأكبر لريتشارد بايبس. أبوه يهودي من بولندا، هاجر مع زوجته من أوروبا إلى أمريكا كلاجئ في بداية الحرب العالمية الثانية.

تمثيلية سرية لها تحت عنوان "أوقفوا ظاهرة الإسلام فوبيا"[1]. وهنا يهدف لغرضين هما التشكيك في الطلبة المسلمين بالجامعات الغربية، ومنعهم في نفس من الاحتجاج على ادعاءاته ومن فضحه كعد وعنصري مناهض للإسلام والمسلمين بين الأوساط الأكاديمية بكل الغرب بسبب تحيزه السافر لإسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

وبغض النظر عمن كان من ورائها في الواقع، جاءت الأحداث المأساوية بالجزائر، بعد إلغاء نتائج الانتخابات التي فازت فيها جبهة الإنقاذ سنة 1991، لتُستغل من طرف الصهاينة من أجل تأكيد ما تروج له من تخويف الغرب من الإسلام ومن المسلمين. وسواء كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر من 2001 بنيويورك من فعل القاعدة أو كما شاع في عدة تحاليل وكتب مجرد مؤامرة مغرضة من صنع أمريكي[2] لغز وأفغانستان ثم العراق، فقد استغلها الصهاينة أيضا من أجل تصوير المسلمين بالغرب كطابور خامس لا يُؤتمن العيش بجوارهم ويستحقون الخوف منهم ومن دينهم، ويحق لإسرائيل أن تكون رأس الحربة في قتالهم وإبادتهم من دون رحمة بفلسطين.

وكانت قد سبقت أحداث نيويورك تفجيرات بأنفاق باريس بفرنسا إثر نفس الفتنة بالجزائر، وتلتها أحداث لندن ثم أحداث مدريد إثر الحرب على العراق وأفغانستان، ثم وقعت التفجيرات المأساوية بالعالم الإسلامي نفسه والمتكررة بالدار البيضاء وبعمان وبالسعودية علاوة على توالي التفجيرات الفتاكة بالعراقيين وبالباكستانيين التي لا زالت مستمرة حتى اليوم. ومرة أخرى بغض النظر عن الفاعل والمحرض الحقيقي من وراء الستار أو في العلن، فكل تلك الأحداث صبت في صالح إسرائيل ضد المقاومة بفلسطين وبلبنان. فيشاع في كل الإعلام الغربي على أن كل تلك التفجيرات تحدث باسم الإسلام، أحب من أحب وكره من كره وكذب من كذب.

وصانع الخبر الصهيوني المهيمن على الإعلام العالمي يقول ويكرر على أن كل هذه الأعمال "إرهابية" من طرف "إسلاميين" على غرار "الإرهاب" الذي تعاني منه إسرائيل بزعمهم، تلك الواحة "الديمقراطية" التي تستحق الدفاع عن نفسها بكل الطرق في صحراء من الاستبداد و"الوحشية". فيُفهم للوهلة الأولى وفي كل العالم بأن كل تلك التفجيرات من وحي الدين الإسلامي نفسه ومن طبيعته الخفية، حتى يُخاف منه فيبتعد عنه غير المسلمين ويحذرون من أي مسلم. ولما تقع أحداث مماثلة من طرف غير مسلم يتحرى نفس صانع الخبر بالغرب تحاشي ذكر دينه وإن أعلن واعترف الفاعل أن فعلته كانت باسم دينه. ويُكتفي بذكر أنه متطرف أو مخبول عقليا ولكن ليس أبدا لا يهودي، كقاتل المقبور رابين، ولا مسيحي، كتيموتي مفجر البناية الحكومية بأوكلاهوما بالولايات المتحدة، ولا هندوسي ولا بودي ولا غير ذلك.

2. الأسباب من داخل العالم المسلم

التخويف من "الإسلام السياسي": فيوجد بالعالم الإسلامي نفسه من يخاف من انتشار تدين المسلمين لأسباب سياسوية هذه المرة. وه ونوع من أنواع "الخوف من الإسلام" المختلفة باختلاف الأسباب. وه وكذلك علامة صحية في حق الأمة الإسلامية. حصل ذلك بعد استرجاع الحركات الإسلامية قوتها وعافيتها من بعد نكسة حرب 5 يوني و1967 التي انهزمت فيها جيوش دول الطوق أمام إسرائيل واحتُلت فيها سيناء مع غزة والجولان والضفة الغربية، وبدأت معها انتكاسة تيار القومية العربية بمختلف ألوانه ومذاهبه وإيديولوجياته والذي كان يسيطر على الساحة السياسية. فاستفادت من تلك الانتكاسة الحركات الإسلامية. ومن هذه الحركات من أنشأت أحزابا. وحاول بعضها من دون جدوى الدخول في المعترك السياسي كحركة الإخوان بمصر وحركة النهضة بتونس مثلا. ومنها من نجحت بعد معاناة في الدخول فيه. ومنها الأحزاب الإسلامية بتركيا وأخرى بالأردن وباليمن وبالكويت وبالجزائر وبالمغرب وبغيرها من الدول الإسلامية الغير عربية.

---

[1] النص الأصلي من جريدة New York Sun 25 octobre 2005

« Le groupe islamiste nommé Hizb ut-Tahrir aspire à placer le monde sous la loi islamique et défend la pratique des attentats-suicide contre Israël. Frappé d'interdiction en Grande-Bretagne, il implanta une représentation clandestine dans les universités britanniques baptisée «Arrêter l'islamophobie»,

[2] كتاب الصحفي الفرنسي Thierry Meyssan تحت عنوان "l'Effroyable imposture"

هكذا من داخل العالم الإسلامي خافت من ظاهرة دخول الحركة الإسلامية المعترك السياسي باقي القوى السياسية المجافية وحتى المعادية لإدخال الدين في السياسة، والتي تزعم أن هذا المجال هو مجال الانتهازية بامتياز ومجرد لعبة لا يليق دخولها باسم الدين والأخلاق. وسر تخوفها في الحقيقة هو علمها المسبق بأن مَظنَّة الأيادي النظيفة في تدبير الشأن العام في حق السياسي المُتدين في وجدان العدد الكبير من الناخبين بالعالم الإسلامي ترجح كفة نيله غلبة الأصوات على حساب المصالح الخاصة لغيره من السياسيين. وهكذا تقاطعت مصالح هؤلاء مع مصالح غيرهم بالغرب من المعادين لانتشار الإسلام لأسباب مختلفة. ومنهم من ذهبت به الخصومة السياسية مع الإسلاميين في بعض الدول إلى درجة التعاطف حتى مع الصهاينة ضد المقاومة الإسلامية علاوة على من يخاف بالغرب من تهديد قيمهم ونمط عيشهم بانتشار الإسلام في مجتمعاتهم كما سيأتي لا حقا. والقاسم المشترك بينهم جميعا هو "الخوف والتخويف من الإسلام" ولكن كل لأسبابه الخاصة.

فمن بعد انتشار الإسلام بسرعة كبيرة في فجر الإسلام انطلاقا من خلافة عهد عمر رضي الله عنه وحتى اليوم، الكثير ممن دخلوا في هذا الدين وممن ولدوا مسلمين لم ينالوا حظهم من التربية الإسلامية السليمة كالتي حظي بها الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه فلم يكن يوما في كل تاريخ الإسلام وحتى اليوم كل المسلمين متدينين وعلى بينة من دينهم. وهؤلاء الغير المتدينين لا ينكرون أنهم مسلمون بل لا يرضون أن يتهمهم أحد بأنهم غير مسلمين. ولكن منهم من يحلو وله أن يفهم الإسلام على هواه ويكره أن يذكره أحد بمستلزمات الإسلام، ليس فقط الامتثال لأوامر الله من صلاة وزكاة والتصرف في الحياة اليومية بسلوكيات أخلاقية على تقوى من الله، ولكن لا يحب أيضا من ينهاه باسم الدين عن المحرمات كشرب الخمر أو ولعب الميسر أو اقتراف الزنا. وتجده في نفس الوقت لا زال يرجو رحمة ربه ويطمع في أن يغفر له، فيصوم رمضان وحتى يعتمر ويحج.

ولكن - وهذا هو المهم في موضوعنا – تجده أشد ما يخشاه هو أن يُصبح يوما يعيش تحت نظام أو سلطة تُلزمه بالمعروف وتمنعه من المنكر وتحاسبه عليه. والخصوم السياسيون للحركات الإسلامية يعلمون تواجد مثل هذا الخوف في المجتمع الإسلامي، فينتهزون كل فرصة تستنكر فيها الحركات الإسلامية منكرا في إعلامها، للتشهير بها ولوصفها بالقوة السياسية المتطرفة التي تنوي الوصول إلى الحكم لفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة، على شاكلة ما يروج له الإعلام الغربي ضد حكم الطالبان بأفغانستان. وكل ذلك من أجل تخويف تلك الشريحة من المواطنين المتوجسة من تلك الحركات، فتسعى لتحويل توجسها إلى خوف من الإسلام نفسه جملة وتفصيلا تحت يافطة "الإسلام المتطرف" في مقابل "الإسلام المعتدل" كالمسيحية بالغرب التي ينحصر نشاطها بالكنائس وتتسامح وتقبل بالواقع المنافي لتعاليمها في الحياة العامة.

فمثل هذا التخويف من "الإسلام الراديكالي" كما يسمونه، يأتي غالبا بالمفعول العكسي في العالم الإسلامي. فذلك التشهير بالحركة الإسلامية يثير حقا تخوف بعض غير المتدينين بالمجتمع الإسلامي، إلا أن غالب برامج الأحزاب الإسلامية ليس هو ما يروّج له خصومها، بل القصد المعلن من مشاركتها في المجال السياسي هو تسيير الشأن العام بالأيادي النظيفة، ولا نية فيه أبدا لإكراه أحد على التدين. وهذا هو واقع الأمر الذي أثبتته التجربة ليس فقط بتركيا ولكن حتى باليمن حيث حكم حزب الإصلاح بمعية حزب المؤتمر.

فالدين والتدين عند هذه الأحزاب الإسلامية يَلتزم به السياسي ولا يُلزَم به المحكوم. وهذا ما جعل الخوف والتخويف من دخول الحركات الإسلامية معترك السياسة يتبدد ويصبح مع مرور الزمن من دون أثر يذكر. ففي تركيا مثلا، المصوتون على حزب العدالة والتنمية تجدهم من بين كل طبقات الشعب بغض النظر عن دياناتهم وعن التزامهم بتعاليمها. فالذي يجعل حتى الناخب العلماني يصوت لصالح حزب العدالة والتنمية بتركيا مثلا هو استقامة وأمانة وكفاءة مرشحيه، بحيث جربهم ووجد أن بتدبيرهم للشأن العام يقل معه الفساد وتستقيم أمور الحياة اليومية للمواطن. لكن في غير تركيا - حيث يفهم الشعب التركي الضغوط الواقعة على الحزب الإسلامي الحاكم – تتدنى مصداقية الأحزاب الإسلامية التي شاركت في الحكم المحلي أو دخلت البرلمان أو حتى شاركت في الحكومة، لأن عدد من ناخبيها وحتى المنتمين لها كانوا ينتظرون من وصولها للحكم إقامة ذلك المجتمع المسلم المثالي حيث يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر بقوة السلطان. ولا يقنعون منها بحسن تدبير الشأن العام بمعية قوى لا تساعد على ذلك بل تعرقله. فتحصل خيبة أمل هؤلاء الناخبين في تلك النُّخب السياسية الإسلامية. فباحتكاكها بالحكم إذن تتدنى مصداقيتها وتصبح مجرد رقم من بين باقي الأحزاب التي تُطبّع مع تواجدها، فلا يبق يخافها أحد أو يُخيف لا منها ولا من الإسلام أحد.

بذلك ينتهي في المجتمع الإسلامي أيضا التخويف والخوف من الإسلام كظاهرة مرة أخرى، ويزولان بزوال مسبباتهما. فماذ الآن عن عن الأسباب العقدية؟

3. الأسباب العقدية

تحت عنوان "العداء للإسلام .. لماذا؟"، وفي معرض كتابه، وبعد استعراضه وجهة نظر متخصصين غربيين، يقول محمد عمارة بأن الحملة الشرسة على الإسلام بشهادة الدراسات العلمية الغربية أساسها استياء الكنيسة من إفلاس المسيحية بالغرب نفسه من جهة وإفلاس العلمانية بالعالم الإسلامي أمام تنامي الرجوع الكثيف للدين فيه بين المسلمين. وسمّاهما بـ "إفلاس الدين الكنسي" بالغرب الحديث المعاصر و"إفلاس الدين الحداثي" حيث فشل الغرب في عولمة علمانيته بالعالم الإسلامي، فأصبح الحديث فيه ديمغرافيا وثقافيا ودينيا واجتماعيا عن "موت الغرب" و"صحوة الإسلام" بحسب تعبيرات الكاتب نفسه[1]. وحتى يصبغ الكاتب هنا على تعليقه الطابع العلمي والموضوعي وحتى يدفع عنه فيه تهمة الانحياز بمقتضى خلفيته الإسلامية, نجده اضطر للاستشهاد في الموضوع بأقوال متخصصين غربيين. وهذا بالضبط ما أشرت إليه في المقدمة لتبرير تكرار استشهادي بالغربيين في موضوع هذا الكتيب. وعليه فسآتي, كلما أمكنني ذلك بشهادات من الغربيين أنفسهم على تفشي ظاهرة الخوف من الإسلام بينهم. ووجدت في تأكيد الأسباب العقدية من وراء هذا الخوف التي أشار إليها الدكتور محمد عمالرة, شهادة بليغة من أكاديمي غربي سيأتي عرضها أسفله.

فالإحساس الفعلي بالخوف من الإسلام والعمل على التخويف منه بالغرب على الخصوص، هو واقع كذلك وهذه المرة بسبب تضايق النخب التي لها خلفيات عقدية مختلفة، فتخاف على نفسها أولا وعلى مجتمعاتها من انتشار هذا الدين الوافد, بسبب قوته الذاتية في الإقناع والاقتناع من دون لا قوة مالية ولا قوة بشرية كهنوتية تدعمه. قوة الإسلام ذاتية وكامنة في تعاليمه العقدية والعملية وفي نصوصه الثابتة. ويكفي أن تنتشر بين الناس فتُكتشف وتُعرف فتهتز أمامها باقي العقائد وتصبح هشة في وجدان معتنقيها.

وتحول الناس من دين إلى دين آخر لا بد من أن يزعزع عقيدة أصحاب الدين الأصلي للمتحول للدين الجديد. فنحن المسلمون مثلا، لشدة اعتقادنا وبحق، بأن ديننا هو الصحيح، نقول دائما بأن المسلم الذي يتنصر مثلا، لا يتنصر عن قناعة ولكنه يفعل ذلك إما عن جهل بدينه وإما لمجرد أغراض مادية، لأنه بالنسبة لكل مسلم ليس في الدين المسيحي ما يعادل أو ينافس أو يغري بالتحول إليه. فلن يجد أي مسلم في المسيحية عن عيسى وعن والدته عليهما السلام أحسن مما جاء في حقهما في القرآن الكريم. ولهذا فنادرا جدا ما نسمع بمسلم قد تنصر ولاسيما بالغرب نفسه حيث لا يخشى فيه من تنصر من إظهار دينه الجديد. فماذا عن تخوف الكنيسة والملحدون بالغرب من انتشار الإسلام على أرضهم ليس فقط بين الشباب المسلم بل من بين نخب الغربيين أنفسهم، كالفيلسوف روجي كارودي والسفير الألماني سابقا مراد هوفمان, وغيرهم من هذه المستوى كثير.

محنة الكنيسة مع انتشار الإسلام على أرضها : لما تحول إلى المسحية مصري مسلم وصحفي بإيطاليا[2]، كان الحدث نادرا جدا لدرجة أن البابا نفسه هو الذي عمده في حفل كبير، وأحضر له وسائل الإعلام. فتنفس المسيحيون بإيطاليا الصعداء، وعلى رأسهم الكنيسة نفسها لوجود أخيرا مسلم "مثقف" يتنصر، ويعيد لهم ثقتهم بدينهم التي اهتزت بانتشار الإسلام من بينهم. فكانوا ينهالون على الصحفي المتنصر في محطة الإذاعة التي يشتغل، بسيل من الاستفسارات لعلّهم يجدون في كلامه عن المسيحية ما جذبه إليها فيطمئنون به على دينهم الذي يجد نفسه أمام دين إسلامي ينتشر على أرضهم بسرعة كبيرة ومن دون تبشير. ولكن أجوبة الصحفي المتنصر على تلك الاستفسارات

---

[1] محمد عمارة "الغرب والإسلام... أين الخطأ وأين الصواب؟؟" ص : 13 و14

[2] ويتعلق الأمر بالمسمى مجدي علام، وهو صحفي مصري المولد، وإيطالي الجنسية ومسلم سابق اعتنق المسيحية في 23 مارس 2008 وتم تعميده على يد بابا الفاتيكان، وكان ذلك بمناسبة عيد القيامة حسب الكنيسة الغربية. اشتهر بنقده للإسلام ومقالاته عن الثقافة الغربية وعلاقتها بالعالم الإسلامي وتأييده لشرعية وجود صهيوني بحسب موقع جريدة هاآريتس الصهيوني على اصفحتها التالية :
ttp://www.haaretz.com/hasen/spages/877090.html.

المصدر:

http://ar.wikipedia.org/wikiمجدي_علام/

كانت على الدوام مجرد شتائم وسب وتشويه للدين الإسلامي وللعرب، من دون ذكر أية مزية وجدها في المسيحية. فخاب أمل المسيحيين المستفسرين له عن سبب تنصره لما تبين لهم من خلال أجوبته أنه مجرد منافق، تحول إلى النصرانية فقط كناية في الإسلام و وحقدا على العرب وليس لمزية ما وجدها في المسيحية.

ولكن في المقابل العدد الكبير من المتحولين إلى الإسلام من بين المسيحيين والملحدين ولاسيما من بين نخب الغرب، يصدم بلا شك باقي المسيحيين وباقي الملحدين. ومن جهة أخرى، مجرد تنامي تدين الشباب المسلم المتخرج من مدارس وجامعات الغرب، يُدخل الشك في معتقدات باقي الغربيين، الذين اعتادوا على سماع أن الدين الإسلامي دين التخلف والرجعية والظلمات. والذي يهز أكثر معتقداتهم هو قوة وتنامي تدين الشابّات المسلمات المتخرجات من نفس المدارس ومن نفس الجامعات الغربية. فبالنظر لما تعود الغربيون على سماعه من اضطهاد الإسلام للمرأة ومن تحقير لشأنها، يجعلهم يتساءلون عن صحة ما كانوا يعتقدونه في هذا الدين، ويتساءلون أيضا وبألم قوي عن صحة ومتانة معتقداتهم الشخصية من مسيحية وإلحاد.

وجاء ذلك بوضوح في كتاب إيمانيال طود[1] حيث يقول بأنه في في عام 2006 ، قبل بضعة اشهر من الانتخابات الرئاسية ، تعجب ماكس جالو[2] من جرأته حين صاح قائلا : "كيف؟ نجرؤ على الإعلان بأن فرنسا العلمانية بلد مسيحي ، في حين أن الدين الثاني في البلاد هو الإسلام ، وهناك وفرة من الكنائس فارغة ، في حين أن العدد القليل من المساجد مليئة لدرجة ان أتباع محمد يضطرون للصلاة وفي الشوارع ، أو في أقبية أو في مستودعات؟ ". وأضاف الكاتب معلقا على هذا التعجب بقوله بأن قلق صاحبه يشير بوضوح، إلى العناء من الفراغ الروحي المسيحي الكاثوليكي، وأن هذا الفراغ الروحي المسيحي يعقبه الخوف من الإسلام[3].

وعليه فمختلف الكنائس مثلا أصبحت تخاف من تواتر تحول رعاياها إلى الإسلام على غرار ما كان عليه خوف قريش سدنة الشرك بمكة. واليوم بفضل توفر كل وسائل النشر والتواصل الحديثة وبكل اللغات، تحقق للإسلام انتشار تعاليمه الحقيقية من طرف المسلمين بأنفسهم وليس عبر المستشرقين المغرضين. وأمام هذا الفتح المبين في العالم كله، لم تعد تقوى وتصمد كل الأكاذيب والتشويهات التي كانت تروّج ضده من طرف أولئك المستشرقين.

ولهذا نجد أن الكنيسة لا بد أن تكون بطبيعتها مستاءة من انتشار الإسلام في الغرب الذي تعتبره "موطنها" بل "مزرعتها الخاصة". وهي نفس الكنيسة التي سعت دائما ولا زالت تسعى بكل ما تملك من قوة ولكن من دون جدوى، لتنصير المسلمين في موطنهم حتى تعطي مصداقية لدينها أمام دين يستمد مصداقيته من نقاء وثبات نصوصه الحقيقية فينتشر بها من دون كهنوت. ولهذا فإنها وجدت دائما سندا في كل الجهات التي تُخوف من هذا الدين الوافد للأسباب الخاصة بها، فتسكت عليه ولا تستنكره وبذلك تدعمه وتشجعه. ونعلم جميعا خروج البابا الحالي بندكت السادس عشر بهجومه على الإسلام في محاضرة بألمانيا، عمد فيها الى تشويه مفهوم الجهاد، مستشهدا بإمبراطور من القرن الرابع عشر، حيث قال على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يأت إلى العالم إلا بأمور "شريرة ولا إنسانية".

وفي هذا التصريح دليل واضح على محنة الكنيسة من جراء انتشار الإسلام على "أرضها" وما هو إلا فيض من غيض طفح وخرج للعلن، بقصد دعم التخويف من الإسلام والمسلمين. وأعلن السكريتير الخاص لبابا الفاتيكان هذه

---

[1] Emmanuel Todd est un politologue, démographe, historien, sociologue et essayiste français.

[2] Max Gallo ماكس غالو (من مواليد 7 يناير 1932 في نيس) ، وهو كاتب ومؤرخ وسياسي فرنسي. وهو عضو في الأكاديمية الفرنسية منذ 31 مايو 2007 ، بالمقعد 24.

[3] Emmanuel Todd, « Après la démocratie », Gallimard, Paris, 2008. p.36

النص الأصلي من نفس المصدر:

En 2006, quelques mois avant l'élection présidentielle, Gallo s'émerveillait de sa propre audace : « Quoi? Oser proclamer que la France laïque est un pays chrétien, alors que la deuxième religion du pays est l'islam et qu'il y a profusion d'églises vides, alors que les rares mosquées sont si pleines que les fidèles de Mahomet sont contraints de prier sur les trottoirs, dans des caves ou des hangars? ». Mais le sens de son angoisse est clair, le vide religieux chrétien catholique. Le vide religieux chrétien précède l'islamophobie.

الأيام، وبصراحة عن تخوف الكنيسة من انتشار الإسلام بأوروبا، حيث قال أنه يجب على أوروبا رفض "محاولات أسلمة" القارة الأوربية. أما في أمريكا حيث تنشط المسيحية الصهيونية فهجوم الكنيسة على الإسلام معلن ومن دون أدن حرج من طرف الكثير من القساوسة وعلى رأسهم القس Franklin Graham نجل بيلي كراهام، القس الإنجيلي والمستشار الديني في البنتاغون للرئيس السابق جورج بوش، والذي صرح بمناسبة عيد الفصح بأن الإسلام دين الشياطين وحرض على ضرب الكعبة المشرفة عشية أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

والشيء نفسه بالنسبة لكل المؤسسات الكهنوتية، لأنها لم تعد تستطيع تشويه الإسلام لا في السر ولا في العلن، لدخوله عبر شاشات الفضائيات لكل بيت من دون استئذان. فكم من عربي غير مسلم أو مسلم على غير مذهب أهل السنة والجماعة، يستطيع مقاومة مشاهدة برنامج "الشريعة والحياة" مثلا على قناة الجزيرة، ويتبين من حقيقة الإسلام كما جاءه به رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم، فيقارنها بما كان يسمع عنه من كهنوته وبما يعرف عن حقيقة دينه أو مذهبه, ولا سيما عن المسيح عليه السلام وعن أمه بالنسبة للمسيحيين، وعن كل الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة للشيعة. والأصل في جل مسلمي الشام ومصر أنهم أحفادُ أحفادِ مسيحيين أسلموا قديما وعن طواعية واقتناع، بدليل بقاء غيرهم ممن لم يسلم آباؤهم أحرارا في ظل تاريخ كل الإسلام وحتى اليوم. ولهذا لا غرابة في وجود كنائس تستأنس بالتخويف من الإسلام إلّم تشجعه وتساهم فيه.

محنة الملحدين: يقول إيمانيال طود في هذا الصدد وفي نفس الكتاب، بأنه في بلد مثل فرنسا ، كان لوجود كنيسة كاثوليكية مهملة من طرف الأغلبية بالرغم من أهميتها الاجتماعية، يعطي معنى للإلحاد، أو بعبارة ملطفة كان يعطي للعلمانية أحقيتها شرعيتها لغياب من ينافسها. ولكن اختفاء هذا المنطلق دمر كل التنظيم الفكري الفرنسي[1]. ولا شك أن الذي يعنيه بالمنطلق الذي اختفى هو ضعف الكنيسة الذي كان يعطي للإلحاد مصداقية، ولما ظهر الإسلام بقوته انتزعها منه لصالحه فأربك وزعزع الإلحاد في أنفسهم. بعبارة أخرى، كان الملحدون بالغرب مرتاحين في إلحادهم مع الدين المسيحي المهمل من طرف جل معتنقيه، فمن ذلك كان يستمد مصداقيته في نفوس الملحدين. ولكن ظهور الإسلام بهذه القوة مع تدين شباب مسلم مثقف ومع تحول غربيين متميزين إليه، زعزع الثقة التي كانت عندهم في عقيدتهم والتي استمدت قوته ولعقود من كنيسة مهملة وغير مقنعة. وهذا الإزعاج الذي أحدثه الإسلام في نفوس الملحدين تحول عند بعضهم كما يقول الكاتب إيمانويال طود إلى "إسلام فوبيا" بمعنى عداء مرضي ضد الإسلام، لأنه أخرجهم من طمأنينة كانوا يتمتعون بها في إلحادهم. فانتقلوا بحسب أقول نفس الكاتب من علمانيين متسامحين مع مسيحية مهملة ولا تزعجهم بل بضعفها كانت تقوي وتؤكد صحة إلحادهم، تحولوا إلى معادين للدين كلية وللإسلام خاصة لأنه جاء بهذه الصورة الغير متوقعة فزعزع اعتقادهم في صحة الإلحاد وذهب بالطمأنينة التي كانت لهم فيه من دون وجود الإسلام من بينهم.

ويستطرد إيمانويل طود مؤكادا لهذا التحليل بقوله أنه لا مفر من هذا الواقع الجديد، الذي فيه وبفرنسا، حيث الممارسة الدينية الكاثوليكية لم تعد ذات أهمية اجتماعية، تحولت العلمانية المتسامحة مع الدين إلى علمانية متطرفة ضد الدين. ويضيف بأنه تحالف في العداء ضد الإسلام ملاحدة العلمانية القديمة مع الخارجين للت ومن الكاتوليكية المتوقفة في آخر محطة لها. فأصبح الإسلام بذلك هو كبش الفداء والعد والذي لا غنى عنه[2]. وأكد الكاتب أن سر هذه المحنة كامن في المعاناة من سوء الشعور بالفراغ الروحي الذي أوقده وقض مضجعه في نفوس الملحدين انتشار الإسلام. فقال بأنه في أوروبا مع بداية الألفية الثالثة ، أصبح الإسلام الضحية المقدمة كقربان لسوء حالنا الميتافيزيقي (يعني بذلك

---

[1] Emmanuel Todd, « Après la démocratie », Gallimard, Paris, 2008. p.39

النص الأصلي من نفس المصدر : Dans un pays comme la France, la présence d’une Eglise catholique minoritaire mais socialement importante donnait un sens à l’incroyance, à l’athéisme, ou comme on dit pudiquement, à l’affirmation laïque. La disparition de ce point de repère a détruit l’ensemble de l’organisation idéologique de la France.

[2] النص الأصلي من نفس المصدر:

Mais rien n’y fait. Dans cette France où la pratique religieuse catholique est désormais sans importance sociale, la laïcité devient laïcisme, et réunit dans une hostilité commune à un Islam fantasmé les incroyants venus de la vieille laïcité républicaine et ceux qui viennent de sortir du catholicisme terminal. L’Islam prend le statut de bouc émissaire, d’ennemi indispensable.

وبلا شك الحال الروحي)، ولصعوبة عيشنا من دون الاعتقاد في وجود إله، في نفس الحين الذي ندعي فيه ونصيح ونصر بأن حداثتنا هي وحدها السبيل الصحيح[1]. هذا النص يشير بوضوح تام إلى صراع نفسي في ذات الملحد بين فطرته التي تدعوه للإسلام حيث المصداقية وهواه الذي يشده للإلحاد الذي فقد تلك المصداقية.

ففي أقوال هذا الكاتب ما يكفي للتدليل على أسباب الخوف والتخويف من الإسلام من طرف الملحدين الذي تحولوا إلى العلمانية المتطرفة ضد الدين الإسلامي بالضبط، بسبب ما أحدثه هذا الدين في نفوسهم من زعزعة لمعتقداتهم ولما جعلهم به يعانون من فراغ روحي مع تشبثهم بما يسمونه بالحداثة التي تلغي وجود أي إله وفطرتهم التي بوجود الإسلام تميل إلى العكس تماما. وتسبب هذا الصراع النفسي عندهم في الشعور بالخوف من الإسلام خصوصا في فرنسا التي تحولت منذ ثورة 1789 إلى أرض وملاذ للإلحاد بامتياز.

ومما يزكي ذلك الاعتقاد عندنا من أن الخوف من الإسلام عند الملحدين هو بسبب محنة وصراع نفسي مع فطرتهم بعد اكتشافهم للإسلام على حقيقته، هو ما يكتبونه عن هذا الدين بكل الوسائل وبكل اللغات بعد اطلاعهم عليه وبعمق وبشغف. فبالاطلاع على كتاباتهم عن الإسلام تجدهم بالمطالعة والبحث يعرفون عنه من كل مصادر علومه المترجمة بحمد الله إلى مختلف لغاتهم ما لا يعرفه عنه حتى جل المسلمين أنفسهم. ول وأنهم شعروا وتيقنوا بعقولهم وبفطرتهم بأن الإسلام مجرد خرافة كما عهدوا ذلك من باقي الديانات، لما ألقوا إليه بالا ولأهملوه ولاستراحوا منه، ولما وجدوا أنفسهم يجتهدون في النبش فيه حتى الأعماق كل بحسب ما علم الله في قلبه. فمن بقلبه خير تجده يبحث فيه عن مخرج من أزمته الروحية، وتجد كل جهد غيره منهم، منصب على إيجاد الشبهات فيه بقصد تشويهه في نفسه أولا قبل التشهير به عند غيره.

فكما أشار إلى ذلك إيمانويال طود في كتابه وسبق ذكره، الملحد يقع باحتكاكه بالإسلام في صراع مع فطرته أكثر مما هو في صراع ضد المسلمين، إلا أنه يعاديهم كما قال ككبش فداء لأنهم بتديّنهم يذكّرونه بالدين الذي يخلق له مشكلة مع هواه ضد فطرته. ويمكن التأكد من هذا الصراع الداخلي عند الملحدين وغيرهم من خلال والسؤال الذي يطرح نفسه "لماذا كل هذا الاهتمام منهم بالإسلام من دون غيره؟". الجواب بسيط مرة أخرى وه وأنهم ل وتيقنوا من أنه مجرد خرافة كما يعتقدون في باقي الأديان لما التفتوا إليه ولما اهتموا به ولأهملوه كما أهملوا باقي الأديان والمعتقدات، لأنها في عقولهم هي مجرد خرافات لا تحرك فطرتهم. ول وتيقنوا بأن الإسلام مجرد خرافة لشجعونا على التشبث به، لأنه لا حسد عندهم ضدنا فيما كل ما لا نفع فيه لنا، بل "الشدة حبهم لنا؟؟" فمنهم من يتمنى لنا كلما من شأنه الزيادة في تأخرنا وتخلفنا ولا يناقشوننا فيه. فلهذا تجدهم يبجّلون ويشجعون كل الفرق الضالة من بيننا كالأحباش والأحمدية، أما الإسلام الحقيقي الذي فيه خلاصنا وخلاص كل إنسان ويميز المسلمين عن غيرهم، يزعجهم ويخافون منه ويخوفون منه.

تنامى ظهورالمرأة المسلمة المتدينة : يقول كلود أمبير[2] في مقابلة له مع قناة LCI، بأنه نوعا ما معادي للإسلام، مع قبوله له كممارسة هادئة للدين. ولكنه يطالب لنفسه بالحق في الاعتقاد بأن الإسلام كدين يأتي بتفاهات بدائية وبالية ومتعددة. يأتي بطريقة للنظر إلى المرأة تحط باستمرار من قدرها ومن قيمتها، علاوة على استهدافه لقانون الدولة من أجل بتعويضه بشريعة القرآن، الشيء الذي يجعلنه في الواقع وكما يقول معاديا للإسلام[3]. وأهم ما جاء في

---

[1] النص الأصلي من نفس المصدر:

Dans l'Europe du début du troisième millénaire, il devient la victime sacrificielle de notre mal-être métaphysique, de notre difficulté à vivre, sans Dieu, tout en clamant que notre modernité est la seule possible, la seule valable.

[2] Claude Imbert ولد في 1929 وهو صحافي فرنسية ، ومؤسس مجلة لوبوان Le Point فكان مدير تحريرها ثم مديرها العام ، ولا يزال يكتب افتتاحية هذه المجلة الأسبوعية.

[3] النص الأصلي من نفس الأسبوعية:

« Moi, je suis un peu islamophobe. [...] Nous avons le droit de combattre le racisme, d'accepter une pratique paisible de l'islam. Et j'ai le droit, je ne suis pas le seul dans ce pays à penser que l'islam - je dis bien l'islam, je ne parle même pas des islamistes - en tant que religion apporte une débilité d'archaïsmes

تصريحه هذا، هو أن الإسلام لا يعنيه كممارسة هادئة، لولا أنه يزعجه بإظهاره بشكل سافر ومستفز له، لنموذج المرأة المسلمة المتدينة، بزيها الإسلامي في الشارع أوروبا. وحديثه وحديث أمثاله عن الغيرة على المرأة المسلمة التي "يحط الإسلام من قدرها " بزعمه، هو مجرد نفاق لا ينطلي على كل ذي بصيص من الذكاء، لأنه ل وكان صادقا في ادعائه هو وأمثاله لانتفض في مجلته وفي غيرها وعلى الدوام، منددا بسوء حال المرأة بفلسطين وبالعراق وبأفغانستان اللائي يعانين من شدة وطأة الاحتلال عليهن وعلى أبنائهن وعلى آبائهن وإخوانهن وعلى أزواجهن. السبب في حقده إذن على الإسلام، لا علاقة له البتة بكرامة وحقوق المرأة المسلمة، ولكن سببه هو فقط جرأته عل تقديم نموذج للمرأة مناقض تماما لما يعتز به من نموذج للمرأة الغربية المتحررة من كل القيود الدينية والأخلاقية، والذي أصبح عالميا ورمز ومظهر من مظاهر تقدم وتفوق ثقافة الغرب على ثقافات باقي شعوب الأرض.

فكل هذه القوى الملحدة بالخصوص، والمنظمة في جمعيات تنادي بحماية العلمانية la laïcité، كلما فتحتَ مواقعها على الشبكة لا بد أن تجد فيها الهجوم على الإسلام بقصد التخويف منه، وكأن من يريد أن يكون ملحدا يكفيه لذلك أن يعادي الإسلام. وتفجرت تلك القوى غضبا وشططا ضد الإسلام والمسلمين بفرنسا على الخصوص، لما ظهر لأول مرة ارتداء الفتيات المسلمات للحجاب بهذا البلد، لأنه يرمز عندهم وعند غيرهم من الغربيين لنموذج المرأة الجديد الذي يشعرون فيه بتحقير نموذج المرأة الغربية الذي يفتخرون به وبتحوله إلى نموذج عالمي، من حيث كل النساء في العالم مبهورات به ويتشبهن ما استطعن به. فأزعجهم نموذج المرأة المسلمة المتدينة التي تغرد خارج السرب وتعتز بمظهرها الإسلامي المناقض تماما لمظهر وسلوك المرأة الغربية. فوجد فيه أمثال كلود إيمبير وغيرهم تحديا مستفزا لثقافة غربية أصبحت عالمية. والذي زاد في شعورهم بهذا الاستفزاز هو كنه صادر عن مسلمات متدينات طال ما كان الغربيون يضعونها في أسفل درجات سلم التطور والتقدم.

فجاء هذا النموذج للمرأة والفتاة المسلمة المتدينة ليظهر كالنموذج البديل الذي تظهر فيه المرأة معززة ومكرمة بخلاف النموذج الغربي المبتذل الذي شَيَّئها وأرادها أبعد ما يمكن عن مؤسسة الزواج، حتى لا ينفرد بالمتعة بها في ريعان شبابها وفتوة جسدها رجل واحد وه والزوج. وأراد لها أن تعمل خارج البيت لا لخدمة المجتمع كما يدّعون بقدر ما تكون في متناولهم، بدلا من أن تبق خدماتها حكرا على بيتها وعلى أولادها. فأرادها في عز شبابها مشاعة بين من تريد من كل الرجال من دون قيد ولا شرط وبعيدة كل البعد عن أية قيم دينية أو أخلاقية تمنع من شيوع التمتع بها.

وشعار العربيد من الملحدين في الحياة، هو إشباع شهواته، والمعبود فيها عنده هو ثالوث "المال والخمر والنساء". فهكذا في عقيدته المرأة مجرد شيء للمتعة تماما كالمال والخمر. ومن تم أضحت مجرد سلعة للإيجار في الدعارة التي تعتبر عندهم أقدم حرفة في حياة البشرية le métier le plus ancien du monde هكذا. وفي هولندا وألمانيا ودول أخرى بشمال أوروبا، الدعارة حرفة معترف بها ومنظمة قانونيا وتَدفع عنها بائعة الهوى عندهم الضريبة على الدخل. أما في بلجيكا وهولندا فتوجد حتى اليوم مواخير للدعارة في أزقة خاصة وغالبا ما تكون محاذية لمحطات القطار والموانئ، تجلس في واجهتها vitrine، بائعة الهوى شبه عارية، مثلها مثل أية سلعة معروضة للبيع بمتجر للملابس أو غيره. واستخدمت المرأة برغبة منها في التجارة كأداة وكطعم للإغراء بشراء السلع ، من أجل الترويج لكل المنتجات وتسويقها.

ولما ظهر نموذج المرأة المسلمة المتدينة والمستورة والمناقض تماما للنموذج الذي بناه الغربيون لعقود واستأنسوا به وافتخروا بشيوعه في العالم، أثار حفيظتهم ورأوا فيه تهديدا لمنط عيش تعودوا على العبث فيه بالفتيات وبالنساء، فعادوه وخافوا من الدين الذي يؤيده. فارتأوا التخويف منه بكل الوسائل حتى ينفروا منه. ولكن كل جهودهم ليس فقط باءت بالفشل بل زادت من انتشار ارتداء الحجاب بالغرب بفخر واعتزاز، حتى أصبح واقعا طبّعوا معه في أول المر كارهين ثم أصبحوا متعودين عليه كرمز للوقار ولكرامة المرأة المسلمة من بينهم.

---

divers, apporte une manière de considérer la femme, de déclasser régulièrement la femme [et] en plus un souci de supplanter la loi des États par la loi du Coran, qui en effet me rend islamophobe ».

ولهذا الموقف من المرأة المسلمة بفرنسا بالذات، ومنها لباقي العالم الغربي على الخصوص، خلفية تاريخية وثقافية. فمنذ الثورة الفرنسية ضد الملكية والكنيسة معا، تعاقب الملاحدة العلمانيون لعقود طويلة على ترسيخ ذلك النموذج للمرأة " المتقدمة" émancipée بزعمهم. بمعنى أنها أصبحت متحررة من كل القيود الأخلاقية والدينية التي كانت يمنع شيوع الاستمتاع بها. فشاع شعار "جسد المرأة ملك لها تفعل به ما تشاء" من دون الحق لأحد في محاسبتها ومنازعتها في الحق من أية جهة كانت دينية أو أخلاقية. وهي ضحية لتأييد هذا الشعار من حيث لا تدري، لأنها حين تكبر وتذبل مفاتنها يتم رميها كما يرمى المنديل من الورق في سلة المهملات بعد مسح اليدين به. ومن تبعات هذه الحرية ظاهرة "الأمهات العازبات" اللواتي ينجبن أولادا مع من أحببن بقصد ومن دون رابط زواج، إلى درجة أن أولادها لا يعرفون من هو أبوهم ، وتعتبر أمهم سؤالهم عنه تدخلا في حياتها الخاصة فلا يجرؤون على ذلك. وعمل الغربيون بكل الوسائل على التطبيع مع هذا النموذج المبتذل للمرأة وتم ترسيخه بصفة نهائية بعد ثورة ماي و1968 بفرنسا، التي جاءت للتحطيم ما تبقى من القيم النبيلة في المجتمع الغربي وبباقي العالم حتى بالعالم الإسلامي من خلال العولمة وحتى قبلها (قاسم أمين نموذجا).

ومن النساء ضحايا هذا النموذج النساء "المناضلات" بجمعيات تُدعى جمعيات les féministes. فهُن الأشد تشبثا بهذا النموذج المبتذل للمرأة تحت ضغط شهواتهن، ليس فقط في الغرب ولكن أيضا بكل العالم ومنه العالم الإسلامي. فتجدهن متعاونات في جمعيات ومنظمات عابرة للقارات وتجدهن في مقدمة من يهاجمن أي نموذج مغاير وأي دين يؤيده. وفي فرنسا بالذات أسس نساء معاديات لنموذج المرأة المسلمة المتدينة جمعية تحت عنوان " ni putes ni soumise" أي "ى عاهرات ولا خانعات" فيه دفع لتهمة إحساسهن بالابتدال الأخلاقي من دون الخضوع لدين يقيد حريتهن. الأمر عنهن نابع من محنة نفسية أخلاقية كذلك، بقدر ما هو محنة نفسية للملحدين من شعورهم بالفراغ الروحي أمام إسلاما يتحدى إلحادهم. وبارتداء أول الفتيات المسلمات للحجاب بفرنسا أصبح الإسلام هو العد والمهدِّد لما يعتبرونه من أقدس "مكتسبات" المرأة، والمتمثل في أن تتصرف بجسدها كيف يحل ولها من دون حسيب ولا رقيب. فهن كذلك يخفن من الإسلام ويسعين لتعميم هذا الخوف من حولهن فيساهمن في التخويف منه مع باقي القوى المعادية له.

الاستشراق المغرض : وللتنفير من الإسلام الحامل للنموذج النقيض للعقائد وللسلوكيت السائدة بالغرب ، عاد المناوئون له لينبشوا من جديد في كل ما سبق أن كتبه المستشرقون المغرضون، وبانتقاء مقصود من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسيرة رسول صلى الله عليه وسلم، ليخرجوه من سياقه فيؤولونه على هواهم بقصد التشهير بالإسلام وبالمسلمين. ويعمل عتاة العلمانية على الاقتباس من كتب هؤلاء المستشرقين وإعادة نشرها من أجل التنفير من هذا الدين وبغرض التخويف منه. فكُتبت الكتب المعادية له وأُحدِثت المواقع الإلكترونية لنفس الغرض، وتجند الإعلام الغربي للحملة ضد الإسلام باستدعاء كل أعدائه من دون غيرهم، من الغربيين وبالخصوص من بني جلدتنا نساء ورجالا حتى يتكلموا فيه بما يحل ولهم، وبتوسع وبتحليلات مستفيضة ضده، ليبرهنوا لمن يسمع لهم على صِدقية "تخلف" و"وحشية" تعاليم هذا الدين حتى بشهادة من أهله.

وأكثر من ذلك فقد كتبوا ضد الإسلام بإسم مسلمين ناشزين ونشروا بإسمهم كتبا ومنشورات تدين الإسلام وتشوه تعاليمه، وحموهم وقدموا لهم الجوائز واعتبروهم أبطال في الشجاعة والإقدام، وأشهر هؤلاء الصومالية تسليمة نيسرين التي أصبحت حتى عضوة بالبرلمان الهولندي، وسلمان رشدي صاحب كتاب "آيات شيطانية" المكتوب من غيره والمنشور بإسمه لأنه ما سبق له أن عرف لا بالكتابة ولا بالنشر ولا هو من أهل الكتابة والأدب فبل وبعد هذا "الكتاب" الوحيد المنسوب له.

وكان الغرض من ذلك مزدوج، التخويف من الإسلام من جهة، واستفزاز المسلمين وإثار ردود فعلهم العنيفة ثم استغلال تلك الردود لتأكيد ما سبق لهم أن وصوفهم به من عنف وكراهية لغيرهم ولاسيما للغربيين من دون غيرهم. وكان ذلك الغرض المزدوج قد تحقق كل مرة مع فيلم فان كوك الهولندي الذي اغتاله شاب مسلم، ومع سلمان رشدي الذي صدرت في حقه فتوى هدر دمه من الخميني، وبالأخص مع نشر الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تعاقبت على نشرها مجلات فرنسية من بعد الصحيفة الدانمركية، لفأثارت حفيظة المسلمين بفرنسا ورفعوا دعوات ضد الناشرين لتلك الكاركاتورات ولكنها وجدت مع الأسف الشديد عضدا في القضاء الفرنسي الذي برأها من تهمة الإساءة للإسلام والمسلمين باسم حرية التعبير وعدم قدسية الأديان ولا سيما الدين الإسلامي. فبقدر ما كانت ردود

أفعال المسلمين مشروعة كانت في نفس الوقت تزيد من مخاوف الغربيين من ألإسلام من بين الذين انطلت عليهم دعاية وحيل خصوم هذا الدين وخصوم أتباعه.

4. الأسباب العنصرية

استعملتُ كلمة "عنصرية" هنا فقط لتقريب نوعية هذا السبب الرابع للتخويف من الإسلام. فللعنصرية تعاريف تنم عن معتقدات العنصريين الغير الموائمة لمعتقدات المسلم، ومنها مثلا :

- في معجم المحيط : لعُنْصُرِيَّةُ هي مذهب المتعصبين لعنصرهم، أي جنسهم أو لمذهب التمييز العنصري،
- وفي معجم الغني : العُنْصُرِيَّةُ - (مصدر صِنَاعِيّ) وهي مَذْهَبٌ قَائِمٌ عَلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ بِحَسَبِ أُصُولِهِمُ الْجِنْسِيَّةِ وَلَوْنِهِمْ.

ونحن المسلمون بعقيدتنا لا نؤمن بأن البشرية تنحدر من أصول مختلفة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم من آدم وآدم من تراب". وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[1] وعليه فأصل كل الناس بمختلف ألوانهم ومختلف هيئاتهم وصورهم، هو من أصل واحد. فلا معنى إذن في العقيدة الإسلامية لعبارة "العنصر البشري"، التي تعني أنه من أصل يختلف عن أصول غيره من البشر.

إلا أن كل الناس تقريبا في أنفسهم نزعة للتمييز بين الشعوب وحتى بين فئات الشعب الواحد، ليس فقط على أساس اختلاف ألوان البشرة واختلاف الهيآت والصور بمختلف بقاع الأرض، ولكن على أساس الفئة الاجتماعية، كالتمييز بين الفقراء والأغنياء وبين المتعلمين والأميين وبين القرويين والحضريين وبين البيض وباقي الملونين. وكثيرا ما تتبقى هذه النزعات للتمييز بين الناس على مختلف هذه الأسس خفية في نفس الإنسان منهم من يقاومها لسبب عقدي أو أخلاقي ومنهم من يتبناها وحتى يعتز بها، ولكنها إن كانت خفية فسرعان ما تطف وبقوة على السطح ومن دون استئذان عند ساعة الغضب وخصوصا عند الزواج. وجاء في الأثر قصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي عير بلال رضي الله عنه بلون أمه في حالة غضب فقال له "حتى يا ابن السوداء تخطئني"، وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتب عليها أبا ذر وسماها: "جاهلية" لأنها من مخلفات الجاهلية. وفي الزواج لنا جاء في الأثر كذلك قصة نفور زين بنت جحش رضي الله عنها من زجها زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسبب اختلاف الفئة الاجتماعية في المجتمع المسلم نفسه. فمن هذه القصص بين الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم المتخرجين من مدرسة النبوة الشريفة، نستنتج أن النزعة لمثل هذا التمييز بين الناس على مختلف الأسس، تكاد تكون شبه طبيعية ودفينة في نفس كل إنسان قاومها من قاومها وطاوعها من طاوعها وتطف وفي مناسبات قليلة وتظل خفية في باقي الأوقات.

وفي كل بلد نجد في نفوس الناس نوعين من العنصرية الدفينة وحتى السافرة إما ضد أو لصالح الأجانب الوافدين على بلدهم.. فالعنصرية تكون ضد الوافد من منطقة يقل قدرها في نفسية المواطن عن مرتبة بلده في نفسه، ونجد في المقابل عنصرية نفس المواطن ضد نفسه أمام الأجانب القادمين من مناطق أعلى قدرا من بلده، بغض النظر عن مركزهم الاجتماعي في موطنهم. فنجد في المغرب مثلا نوع من العنصرية ضد الأفارقة مهما كان مركزهم في بلدانهم. ونجد الفرنسي مثلا، يتصاغر أمام أي أمريكي مهما كان قدره الاجتماعي متواضعا ببلده كالأمريكي الأسود مثلا. فهذا إذن ليس فقط تحصيل حاصل عندنا نحن أهل البلدان النامية بل حقيقة في شأن الغربيين الأوروبيين أنفسهم. فعلى سبيل المثال يَكنّ جل وحتى كل الأوروبيين الاحترام والتقدير للأمريكيين الشماليين ولليابانيين مهما كان قدرهم في بلدانهم، ويصل بهم هذا التقدير أحيانا إلى درجة الانبطاح والتذلل أمامهم. والمسلمون بما أنهم كلهم أو جلهم شرقيون وافدون إما من آسيا أو إفريقيا – قارتين معروفتين في وجدان الغربيين بالفقر والأمية والتخلف – ومتميزون عن الغربيين ببشرة غير بيضاء وبصور وهيئات "خاصة" يتصورهم من خلالها عامة البيض بكل بقاع العالم أنهم منحدرون من أصل وعرق متخلف وأقل تطورا من عرقهم. بذلك يَجمع المسلمون ضدهم في وجدان الغربيين كل أسباب التمييز ضدهم الخفي والسافر، ومن المسلمين من بانبطاحه أمامه يزكي "عنصريتهم" ضده.

---

[1]سورة الجرات الآية 18

وفي الفصل الأول من كتابه "الإسلام وأوروبا، تعايش أم مواجهة ؟"[1] خصص الكاتب السويدي أنكمار كارلسون[2] الفصل الأول كله لذكر لائحة طويلة من كتابات ودعاية مشوهة للعرب ببلاده السويد وبالولايات المتحدة تكيل لهم الشتائم والسب وتصورهم برسوم كاريكاتورية على أنهم بد وفقراء وجهلة بطبيعتهم أو أثرياء سفلة لا يهم إلا البحث عن إشباع شهواته الهابطة بالأموال التي يجنونها من مداخيل بحر من النفط بالصحراء تحت أقدامهم. ويذكر أن هذا التحقير لهم كان ليس من فعل الكتاب والصحفيين والساسة فقط، بل حتى من طرف الدوائر الرسمية كالمكتب الفدرالي للتحقيقات FBI، ومن دون أن تجد من يستنكرها أو يرد عليها. ويندد الكاتب بذلك قائلا ل وأنه قيل جزء من الألف من تلك الشتائم ضد اليهود لقامت الدنيا ولم تقعد، ولنال مرتكب وتلك الجرائم جزاءهم. ولعل الكاتب كتب ذلك بعد حرب أكتوبر 1973 لما أقدم العرب على فرض حذر على النفط ضد الغرب المدعم لإسرائيل، وترجم فقط سنة 1994 بعد الثورة الإيرانية وبعد دخول الحركة الإسلامية خط المقاومة ضد العد والصهيوني. فل وأعاد كتابته لوجد أن العد وفي الغرب لم يعد فقط العربي الذي كان يمثل منظمة التحرير العلمانية، ولكنه يشمل اليوم كل المسلمين والإسلام الذين عوضوا القوميين العرب في الحرب ضد الاحتلال الصهيوني بفلسطين وضد الهجوم الأمريكي على العراق وأفغانستان.

فأصبحت اليوم العنصرية بالغرب ضد المسلمين. ويتجلى هذا التعالي عليهم في كل مناحي الحياة الثقافية منها والعقدية. ففي ذهن الغربي ثقافته ومعتقداته هي الأرقى بحكم لون بشرته وتقدم وتطور بلده بالمقارنة مع الوضع الاقتصادي والاجتماعي بباقي الدول المسلمة. وفي نظره من واجب المسلمين المتعلمين و"المتنورين" أن يندمجوا بتخلّيهم عن ثقافتهم وبالأخص عن معتقداتهم، حتى يُنظر لهم على أنهم متقدمون ومتحضرون. ومن منهم يتشبث بثقافته وبعقيدته الإسلامية على الخصوص، يعد متمردا يتحدى الحضارة الغربية وينكر تفوق العرق الأبيض على غيره من البشر.

وحتى من تحول إلى المسيحية من الوثنيين من السكان الأصليين بإفريقيا وبآسيا وبأمريكا ظلوا في نظر من نصروهم أقل منهم قدرا من البيض. فرغم وحدة الدين ظل البيض في هذه الديار يعيشون منعزلين عن الشعوب الأصلية المتنصرة حتى في الكنائس. فلا زواج منهم ولا اختلاط بين أبناء الجانبين في المدارس. ولا دفن حتى في نفس المقابر. الدين واحد نعم، ولكن الدين في نظرهم لا ينفي تفوق "العرق" الأبيض على غيره.

وأفتح هنا قوسا لإظهار ما يميز الإسلام عن باقي المعتقدات في هذا الشأن : فما جاء في الفقرة السابقة هو خلاف كل الرسائل السماوية الحقيقية التي حَيَّنها القرآن الكريم الرسالة الخاتمة. فمن تعاليم الإسلام التسوية بين كل الناس في الكرامة من دون أي تمييز في ما عدا تقوى الله. وذلك لقوله تعالى في الآية السابقة الذكر من سورة الحجرات {{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى "[3] ومما زكى هذه العقيدة هو الزواج والتصاهر بين المسلمين الوافدين لنشر رسالة الإسلام مع الأقوام المقصودة بالدعوة والتي أسلمت. وكانت تلك المصاهرة صادقة بغض النظر عن اللون أو الثقافة أو غيرها. وكان هذا من خير المؤشرات بالنسبة للمسلمين الجدد على أن هذا هو الدين الحق وأن الدعاة كانوا صادقين ولم يأتوا إليهم للاستيلاء على بلدهم واستغلالهم والاستعلاء عليهم واستعبادهم ولكن من أجل إعلاء شأنهم بإنقاذهم من العبودية لغيرهم وإخلاصها لله تعالى وحده. فتعايشوا جميعا في مختلف مناحي الحياة وتعبّدوا الله في نفس المساجد واشتركوا في الأنساب الشرعية واندمجوا بعضهم في بعض إلى درجة الذوبان ودُفنوا في نفس المقابر.

---

[1] Engmar Karlsson "الإسلام وأوربا، تعايش أم مواجهة؟" ترجمة : سمير بوتاني/ دار النشر للترجمة : Wahlström & Wdstrand Stockholm 1994

من الصفحة 12 إلى الصفحة 35

[2] Engmar Karlsson كاتب ودبلماسي سويدي

[3] مسند أحمد

وبالعودة إلى "العنصرية" كعامل من عوامل التخويف من الإسلام، فالناس في الغرب مختلفون. فمنهم من يقاوم النزعة "العنصرية" بداخله ويقبل بالتعايش السلمي مع المسلمين الذي يطبعه الاحترام المتبادل وهذا هو حال أغلب الغربيين. ومنهم من يقبل التعايش معهم على مضض ويكتم "عنصريته" ولكن له استعداد لإظهارها حين تحين الفرصة المناسبة. وهذه الفئة يستهدفها بعض السياسيين في حملاتهم الانتخابية لكسب أصواتهم. وهناك الفئة الثالثة التي لا تُخفي "عنصريتها" بل تدافع عنها وتتباهى بها من دون خجل. وهي المتمثلة في ما يسمى بـ "اليمين المتطرف" l'extrême droite. وكل الملحدين في فرنسا بالخصوص كانوا ينتظرون من مدرسة الجمهورية العلمانية أن تصنع على عينها الأجيال الثانية والثالثة والتي تليها من أبناء وبنات المهاجرين المسلمين، حتى يتخلوا عن دين آبائهم ويكونوا ملحدين مثلهم. وكانوا متسامحين مع تَديُّن الأجيال الأولى من العمال اعتقادا منهم أن تشبثهم بالدين الإسلامي فقط من راسب ومخلفات ما أتوا به معهم من ثقافة بلدانهم الأصلية كفئة فقيرة وأمية. وخاب أملهم فاشتطوا غضبا لما وجدوا أن أبناءهم ولاسيما بناتهم أكثر تشبثا بدينهم من آبائهم بالرغم من تعليمهم وتكوينهم وتربيتهم بالمدرسة الفرنسية العلمانية التي تعمل على احتقار كل الأديان والدين الإسلامي بالخصوص. وقال وزير التعليم سابقا François Bayrou في نقاش حول الحجاب بالتلفزيون ما معناه "هؤلاء الفتيات المرتديات للحجاب لسن فقط خريجات المدرسة الفرنسية ولكن بنات آباء وأمهات تخرجوا هم كذلك من نفس المدرسة. يعني ذلك تلك المدرسة فشلت في أداء رسالتها" أية رسالة ؟ الجواب بلا شك هو : تحويل الشباب المسلم من الإسلام إلى الإلحاد، بمعنى أن رسالة المدرسة هي صناعة الملحدين.

فكما سبق أن ذكرنا بأن هذه الظاهرة ولاسيما ارتداء المسلمات للحجاب أثارت غضب عتاة العلمانية. ولكن غضب اليمين المتطرف كان أشد وأقوى. لقد وجدوا فيها إهانة لثقافتهم لاعتقادهم بأنهم هم العنصر الأرقى والواجب أن يكونوا القدوة لغيرهم وبالأخص للمسلمين الذين يُكنّون لهم ولدينهم أشد الاحتقار. فتحالف هذا اليمين المتطرف مع غيره من أعداء الدين الإسلامي بأسباب مختلفة للمساهمة في شيطنته وفي التخويف منه لأسباب "عنصرية" هذه المرة.

من مظاهر مكافحة الإسلاموفوبيا

تكشف بهتان الإسلاموفوبيا : ولكن حبل المكر قصير مهما طال عمره. فسرعان ما يكتشف كل الناس بالعالم على أن كل تلك التهم الملصقة بالإسلام وبالمسلمين وإن فُعلت باسم الإسلام فهي :

1) محدودة في أفراد معدودين على رؤوس الأصابع في حين أن عدد المسلمين اليوم يزيد عن ربع تعداد ساكنة الأرض، وغير طارئين عليها ولا يعيشون معزولين عن باقي سكان الأرض حتى يخافهم الناس بل على اتصال بهم في كل مكان وعاشوا ويعيشون من بينهم بسلام لقرون عديدة.
2) محدودة في الزمان لأنها ظهرت فقط منذ عقدين أو ثلاثة، في حين أن عمر الإسلام يفوق الأربعة عشر قرنا
3) محدودة في المكان بحيث لا تكاد تتعدى تلك الأحداث الأماكن المرتبطة بفتن الشرق العربي من دون غيرها، في حين أن العالم الإسلامي الآمن والمسالم كباقي بقاع الأرض فسيح وعريض، ويمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي.

ولكل هذا وعلى الأقل جل الناس، سرعان ما يفهمون أنه ل وكانت تلك الأحداث من صميم وطبيعة الدين الإسلامي لكانت عامة في كل المسلمين طيلة كل تاريخ الإسلام وفي كل ربوعه وحيث ما وجد معتنقوه. ومرت على غير المسلمين أزمنة طويلة وهم لا يزالون حتى اليوم يتعايشون مع المسلمين في أمن وسلام من دون أن يشهدوا فيهم ما يخوّف به منهم أعداؤهم. ثم من كثرة التحريض على الإسلام فمن غير المسلمين من يبحث من باب الفضول وحب الاستطلاع في المكتوب عن هذا الدين من طرف أتباعه بأنفسهم بكل اللغات، فيعلمون ويتعلمون ويتيقنون أنه حتى إذا كانت تلك الأحداث حقا من صنع بعض المسلمين فليست أبدا من وحي دينهم. بل الكثير منهم اكتشف أن المسلمين هم المعتدى عليهم وهم المظلومون فصاروا ينعتون أعداءهم بـ "الإسلموفوبيا" بغية وصفهم بالعنصرية ضد المسلمين على غرار "اللاسامية ضد اليهود" وليس بمعنى الخوف منهم، كما توحي به الكلمة. ويشاع أن عددا من الأمريكيين وغيرهم إثر أحداث نيويورك، لم يكونوا يعرفون شيئا عن الإسلام فبحثوا فيه ومنهم من وجد فيه ضالته المنشودة فأسلم.

ومن هذه الآثار الطيبة شجاعة بعض الأكاديميين للجهر بالحق منددين بما يسمونه الهجوم المغرض على الإسلام والمسلمين وينفون عنه أحقية التغطية على عنصريتهم بالحق في حرية في التعبير. وهذا ما جاء في مقال للأكاديمي فريدريك نيرات[1] بجريدة لوموند حيث قال بأن أدمغة، وأساتذة، ومجلات تدعي "الحداثة"، وسياسيين كلهم يساهمون بنشاط في صنع صراعات بين غرب مهووس وشرق وهمي. ويعتنون بآلة صنع هذا الصراع بكيل الشتائم والاحتقار. وحين يرد عليها المقصود بها بعنف، ويقولون: "إنه بربري إنه همجي، لقد قلت لكم ذلك". ويضيف الكاتب قائلا بأنها حلقة مفرغة, لن تسفر عن إفراز أية هوية، ولا أية حضارة، وإنما عن قتلى. فيجب الخروج من هذه دائرة. ويعني ذلك بالنسبة لهذا الكاتب, من حيث العمل الفكري، عدم الوقوع فيما سماه هيغل "وحشية التعبير". ويقول بأن وسائل الإعلام تريد إيهامنا بأنه بوسعنا أن نقول أي شيء، وبأية طريقة وعن أي كان. فيقول أن هذا غير صحيح، فالكلمات لها أهميتها، لأنها تبني الواقع الذي نعيش فيه. والمشكلة عنده ليست في فرض الرقابة على الذات وليست في حرية التعبير، ولكنها مسألة كرم البناء. فيجب بحسب قوله, تجنب الكلمات التي تجعل الفضاء غير صالح للتعايش. وهذا من شأنه أن يمنع الاستنجاد بالدولة، وبالشرطة، ومن شأنه أن يجنب الإنسان العيش في خوف[2].

---

[1] Frédéric Neyrat دكتور في الفلسفة ، والمدير السابق للبرنامج في المعهد الدولي للفلسفة

[2] النص الأصلي ومصدره:

" Des cerveaux, des professeurs, des revues dites « modernes », des hommes politiques participent activement à la fabrication des conflits entre un Occident halluciné et un Orient imaginaire. On entretient la machine à coups d'insultes et de mépris. Et quand l'autre réagit violemment, on dit : « c'est un barbare, un sauvageon, je vous l'avais bien dit ». C'est un cercle vicieux, qui ne produira pourtant aucune identité, aucune civilisation, mais des morts. Il faut couper ce cercle. Ce qui suppose déjà, pour ce qui est du travail intellectuel, de ne pas tomber dans ce que Hegel nommait la « barbarie de l'expression ». Les mass-médias nous font croire que l'on peut dire n'importe quoi, n'importe comment, à n'importe qui. C'est faux, les mots ont de l'importance, ils construisent la réalité dans laquelle nous vivons. Le problème, ce n'est pas de se censurer, ce n'est pas celui de la liberté d'expression, mais celui de la générosité de construction : il faut éviter de dire des mots qui rendent l'espace inhabitable. Cela évitera

وليس هذا الأكاديمي بالوحيد ممن بدأ يدق جرس خطر التحامل على الإسلام والمسلمين, بل عددهم يتكاثر يوما بعد يوم, ومن بينهم جاك جوليار[1] الذي ندد بالتخويف من الإسلام قائلا بأن حجة مناهضة الإسلام ظلت منذ فترة طويلة ذريعة مريحة لإضفاء نوع من الاحترام على كراهية العرب ورفض استضافتهم[2].

انقلاب الصورة: ولأن الباطل لا بد أن ينكشف، تكشفت أخيرا عورة المناوئين للإسلام وللمسلمين لما ضاقت صدورهم من الآثار العكسية التي تسبب فيها مكرهم لصالح الإسلام والمسلمين، فغاظهم ذلك وزاغت عقولهم عن المكر المدروس وانزلقوا إلى العدوان والتطرف السافر والمكشوف، فتجرؤوا ونشروا الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. حينها اكتشف باستغراب الكثير من المسيحيين أن المسلمين كلهم لم يردوا بسب المسيح عليه السلام، فبحثوا وعلموا أن الإنجيل والقرآن من مشكاة واحدة وأن من عقيدة المسلمين الإيمان بأن عيسى عليه السلام رسول لله تعالى وأن سورة كاملة من القرآن الكريم تحمل اسم أمه مريم وانها فيه موصوفة بالعذراء البتول وقديسة. مما انقلب بردا وسلاما على المسلمين وزاد من احترامهم بين المسيحيين بالغرب وغيره.

والذي أتى على مكر الصهاينة ومكر كل من يدعمهم بالغرب هو انتخاب حركة المقاومة الإسلامية بالديمقراطية التي يتشدق بها الغرب ضد المسلمين، فتم معاقبة كل الفلسطينيين بتعليق التعامل معهم دوليا بسبب ترأس هنية لحكومتهم، وتلى ذلك أسر الجندي الإسرائيلي، فزج الكيان الصهيوني بمنتخبي الشعب الفلسطيني من حماس في سجونه، وبدأ التآمر من الداخل على الحركة بغزة فأحبطته، وتم حصارها الظالم ثم تلاه العدوان الوحشي الأخير عليها والذي كان سببه مرة أخرى حماقة تهافت ساسة الكيان الصهيوني على أصوات الناخبين على حساب دماء الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ وبتدمير منازلهم فوق رؤوسهم وقصف جل مرافق حياتهم الأساسية بكل ما أوتي الكيان الصهيوني من قوة، على مسمع ومرأى من كل العالم من دون القدرة على المواجهة مع المقاومة. فانقلبت الصورة الملصقة بالإسلام والمسلمين، ووصف أخيرا الصهاينة بالوحوش الدارية من طرف كل شعوب العالم وتبين أن المسلمين هم المظلومون وأن الإسلام مرة أخرى بريء من كل ما ينسب إليه ظلما وعدوانا، وذلك مصداقا لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }[3]

الظاهرة تختفي باختفاء مسبباتها : فـ "الخوف والتخويف من الإسلام والمسلمين" واقع حقا ولكنه هنا وكما فيما سيلي لاحقا، مجرد طارئ في عمر الإسلام، ما يلبث أن يزول لصالح الحق الجلي بتكشف باطل وزيف أسبابه. ومن تم فما تبقى من الواقع المعادي للمسلمين اليوم هو، في نظري المتواضع، مجرد ظاهرة تزول بزوال مسبباتها، لأن من ورائها كل مرة أطراف مغرضة تستغل كل طارئ للتخويف من الإسلام والمسلمين والذين دخلوا في هذه المرة معترك السياسية بعد الصحوة الإسلامية المباركة باسم الدين لمقاومة ظلم الصهيونية وظلم من يساندها فيه بفلسطين وظلم الغرب بالعراق وأفغانستان. ومرة أخرى فكل ظاهرة هي بطبيعتها طارئة بحيث تظهر بتوفر أسبابها وتختفي باختفاء مسبباتها، ويبقى من ورائها الحق الذي لا غبار عليه، مصداقا لقوله تعالى {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[4] وقوله {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ}[5] وقوله {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هو زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }[6]

---

ensuite d'en appeler à l'Etat, à la police, cela évitera qu'un homme vive désormais dans la peur. "Frédéric Neyrat LE MONDE - 05.10.06

[1] Jacques Julliard صحفي فرنسي ومفكر ومؤرخ، وزعيم نقابي سابق

[2] النص الأصلي ومصدره :

« l'argument anti-islamique est de longue date un alibi commode qui habille de respectabilité la haine de l'Arabe et le refus de l'accueillir » Jacques Julliard . Le Nouvel Observateur, 23 novembre 1989

[3] سورة الأنفال الآية 36

[4] سورة الإسرا الآية 81

[5] سورة الأنفال الآية 18

[6] سورة الأنبياء الآية 18

ولهذا فما تبقى مما يسمى اليوم بـ :"الخوف من الإسلام" لا بد أن يزول كما زالت بالتدريج المعارضة السافرة والعنيفة بفرنسا لارتداء الفتيات المسلمات للحجاب كما سيأتي التفصيل فيه. فكل الغربيين اليوم طبّعوا مع رؤية الحجاب في كل مكان من مدنهم وقراهم وأصبحوا يتعايشون معه كرمز لأحد قيم الدين الإسلامي الجديرة بالاحترام، بالرغم من أنف من لم يدخروا أي جهد من أجل الترويج له كدليل ومؤشر على استفحال ظاهرة "الإرهاب" بين ظهرني الغربيين تهدد أمنهم واستقرارهم. هذا فيما يخص الأسباب السياسية من خارج العالم الإسلامي، فماذا عن السبب الثاني من باقي أسباب التخويف من هذا الدين؟؟

ولكن عن هذه الحملة الشرسة للتخويف من الإسلام والمسلمين بالتحالف بين كل القوى المناهضة لهذا الدين، نتجت حملة مضادة هذه المرة من الشباب المسلم بالخارج من بين الطلبة وبالخصوص من بين الجيل الثاني والثالث من أبناء وبنات المهاجرين الذين ولدوا في الغرب وتعلموا في مدارسه ونشأوا في بيئته. فحتى من كان منهم غير متدين كان يعرف من خلال أسرته ومجتمعه الأصلي أن المنشور والمكتوب من تشهير بدينهم هو محض كذب وبهتان. فاجتهدوا في التعرف عليه بالدراسة العلمية، ومن خلال مختلف الدعاة والعلماء الذين يتقنون اللغات الأجنبية كطارق رمضان مثلا بالنسبة للفرنكفونيين، فكانت عودة قوية ومباركة للشباب المسلم بالغرب إناثا وذكورا ليس فقط للتشبث بدينهم بل بنشر تعاليمه الحقيقية على أوسع نطاق وللدفاع بأسلوب الند للند بكل الوسائل المتاحة. فازداد ارتداء الحجاب انتشارا من بعد ما كان محدودا في بعض الفتيات، وكل ذلك مصداقا لقوله تعالى { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُ وفَضْلٍ عَظِيمٍ }[1].

ولم أستطع هنا مقاومة سرد أحداث مقابلة على قناة TV5 الفضائية بين فتاة مسلمة محتجبة من جهة و Elisabeth Badinter إحدى أشد أعداء الإسلام من جهة ثانية، سألت فيها هذه الأخيرة الفتاة المسلمة عن سبب ارتداءها للحجاب، فردت عليها للت وتلك الفتاة قائلة ما معناه "من تكوني أنت في هذه البلاد وبأي حق فيها تنكري علي بسؤالك ارتداء ما أريد؟ فأنت فرنسية وأنا فرنسية مثلك، ولكل منا نفس الحقوق ونفس الوجبات، وأنا الفرنسية بالتجنيس أحترم مبادئ الجمهورية التي تدّعين الدفاع عنها. فأنا مثلا لا يعجبني كشف فتاة عن صدرها ولا سيما من عجوز في سنك، فلا أنكر عليك ذلك احتراما للحرية التي تتشدقين بها. ولكن بسؤالك وبتدخلك في حريتي وفي حياتي الخاصة، أنت الفرنسية أصلا، تستحقين مني هنا دروسا، أنا الفرنسية بالتجنيس، عن قيم الجمهورية". ولم تعطيها فرصة لترد، فالتفتت إلى مسير البرنامج، وكان البث على الهواء مباشرة، فقالت له ما معناه "بمثل هذه البرامج في هذه البلاد تفتحون ضد المسلمين محاكم تفتيش جديدة في تناقض سافر مع قيم هذه الجمهورية التي يحل ولكم تعريفها بـ "أرض الحرية بامتياز". هكذا قضت غرضها من البرنامج وبعثت برسالة قوية لباقي الشباب من المسلمين حتى يواجهوا الظلم الذي يطالهم بنفس القيم التي تنادي بها جمهوريتهم. وصار الكلام في البرنامج من بعد تدخلها مجرد لغط لم تكلف تلك الفتاة نفسها مزيدا من الرد عليه. فازداد بذلك الملحدون غيضا وكرها للمسلمين وللإسلام ، فانبرى السياسيون الانتهازيون باستغلال الظرف وأخرجوا قانون منع الحجاب بالمؤسسات التعليمية المشئوم، تحت طائل التهديد بالمنع من الدراسة.

فازداد من جراء هذا التخويف من الإسلام فضول غير المسلمين في الاطلاع على تعاليمه الحقيقية، حتى أن من لم يسلم منهم أصبح على الأقل يُكن لهذا الدين ولمعتنقيه الاحترام اللازم. ومع مرور الزمن باءت كل محاولات التخويف منه بالفشل. فتعود الغربيون على مجيء رمضان فأصبحوا يقدرون الصائمين واعتادوا على رؤية مناسك الحج عبر الفضائيات بنفس التقدير والاحترام وكذلك الإقبال المنتظم للمسلمين على المساجد. وركب السياسيون هذه المرة الموجة، كانتهازيين بامتياز، ليتسابقوا في الدفاع عن حقوق المسلمين لما أصبحوا قوة فاعلة سياسيا من حيث انتشر الوعي بينهم بالانخراط في المجال السياسي بعد نيلهم حق الترشيح والانتخاب. فأصبحوا يتحدثون عن الإسلام بوصفه الدين الثاني بفرنسا من بعد المسيحية. وأنشأ المسلمون مجالس تمثلهم في التحاور والحوار مع السلطات المحلية والمركزية، على غرار مجالس اليهود والنصارى. وأصبحت كلمة "إسلاموفوبيا" قدحية ورادعة لأعداء المسلمين على غرار "معاداة السامية" بالنسبة لليهود. ولجُلّنا أهل بالغرب نستفسرهم عن أحوالهم فيخبروننا بأنهم يعيشون بصفة طبيعية كغيرهم من المواطنين الأصليين ولا يحسون بأي تمييز ضدهم. ومع توالي باقي الأحداث العالمية التي اتضح

[1] سورة أل عمران الآية 173 و174

ظلمها للمسلمين تدنت الحملات الإعلامية الهجومية ضدهم وضد الإسلام، فيما عدى ما تبقى من الإجراءات الأمنية التي تطالهم بالخصوص بكل حدود الدول الغربية من دون غيرهم.

وهكذا كان "التخويف من الإسلام" بالسبب العقدي هذه المرة مجرد ظاهرة كذلك، اختفت كسابقاتها باختفاء واندحار مسبباتها أمام قوة الحق الذي هو صلب هذا الدين، فانقلبت عزة ونصرة وتأييدا له بفضل من الله، مصداقا لقوله تعالى { أَنْـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أو مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ }[1] وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }[2]

---

[1] سورة الرعد الآية 14

[2] سورة الأنفال الآية 36

الــــــخــــــــــلاصــــــــــة

نستخلص من كل ما سبق أن التخويف والخوف من الإسلام أو ما سمي بـ "الإسلام فوبيا"، ما هو إلا مجرد ظاهرة لكونها محدودة في المكان والزمان. ظاهرة منحصر في الغرب وحده من دون غيره، وه ومنطقة جغرافية محدودة المسلحة بالنسبة لمجموع دول العالم. وساكنته تكاد تعادل خمس ساكنة الأرض أو أقل من ذلك. أما الإسلام فلم يُخف أحدا بطبيعته على امتداد أربعة عشر قرنا من تاريخه. ومعتنقوه يغطون حتى يومنا هذا مساحة فسيحة وعريضة من الأرض بوسط العالم وبمختلف القارت. وهم من مختلف الأعراق والأجناس والثقافات. وكانوا دائما على احتكاك بغيرهم. ويغلب على علاقاتهم بغيرهم التعارف والتعايش السلمي والتبادل التجاري والثقافي من دون أي خوف ولا ريبة ولا حذر.

أما الظاهرة فوليدة أقل من عقدين من الزمن وبالغرب وحده لأسباب يغلب عليها الطابع السياسي أكثر من غيره. فلما كانت المقاومة للكيان الصهيوني ذات صبغة قومية عربية صرفة، ازدهرت بالغرب صناعة التخويف والخوف من العرب وحدهم من دون باقي المسلمين. وبدأ التخويف من الإسلام والمسمين بصناعة صهيونية بمعية من يساندهم بالغرب وحده. وذلك مباشرة من بعد الثورة الإسلامية بإيران حين قطعت علاقاتها مع الكيان الصهيوني وأحلت مكان سفارته بطهران سفارة لفلسطين. وزادت حدة العداء للإسلام والمسلمين وبالتالي التخويف والخوف منه، بعدما دخلت الحركات الإسلامية على خط المقاومة بفلسطين وبلبنان. واشتدت حركة التخويف من الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بنيويورك سنة 2001 وكل ما تلاها من صدام بين القوات الأمريكية بالمقاومة الإسلامية بالعراق وبأفغانستان. وظل أثر ذلك التخويف منحصر دائما وفقط في الغرب لانحيازه لإسرائيل. ول وكان الخوف من الإسلام من طبيعته لعم العالم كله، وليس فقط اليوم بل طيلة تاريخه. ولكنه مرة أخر مجرد ظاهرة محدودة جدا في الزمان والمكان كما سبق ذكره.

إلا أن هذا التخويف من الإسلام وجد في الغرب تربتا قابلة لنماء بسبب معطيات أخرى كانت شبه نائمة أو خفية، فطفت على السطح وغذته. ومنها العنصرية القديمة وتضايق الكنيسة من تزايد تعداد المسلمين بالغرب ونماء تدينهم في مقابل تنامي إهمال المسيحيين لدينهم لصالح علمانية كاسحة. كما تضايق العلمانيون من تنامي مظاهر تدين المسلمين ولاسيما الشباب منهم وبالخصوص الفتيات والنساء. كل هذه الأمور فصلنا فيها، ولا تعني أبدا أن كل الغربيين يخافون حقا من الإسلام والمسلمين بحكم عيشهم معهم واحتكاكهم بهم يوميا في كل مكان من المدرسة حتى مكان العمل مرورا بالجوار والسوق والشارع. وسرعان ما يتيقنون من أن كل ما يشاع ضدهم هو محض كذب وافتراء، بل منهم من تحول إلى متعاطف مع قضاياهم بفلسطين وبالعراق وبأفغانستان. ذلك بأن حبل الكذب قصير، ولا سيما في حق أناس ليسوا بمجهولين أو يسكنون بالمريخ، لأنك تستطيع التخويف من المجهول وليس من الشيء المألوف. ولهذا فهذه الظاهرة كغيرها وبطبيعتها آيلة للزوال لا محالة مهما طال الزمن.

المـصــادر والـمــراجـــع

إبراهيم أسعيدي ومونية رحيمي : "نظرية صدام الحضارات أو التهديد الإسلامي, واقع أم اختلاق"
سلسلة الحوار الطبعة الأولى 1999. عدد الصفحات :

محمد عمارة: "الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب؟"
مكتبة الشرق الدولية الطبعة الأولى 2004. عدد الصفحات : 276

Samuel Huntington " الإسلام والغرب، آفاق الصراع" ترجمة مجدي شرشر.
مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1995. عدد الصفحات : 128

د. محمد مورو: " الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة؟" تحليل لكتاب "الفرصة السانحة" للرئيس السابق ريتشارد نيكسون.
نشر وتوزيع : الروضة : الدبس للنشر. الطبعة الأولى 2001
عدد الصفحات : 119

Ingmar Karlsson "الإسلام وأوربا، تعايش أم مواجهة؟". ترجمة سمير بوتاني.
نشر : Stockholm 1994 Wahlström & Widsrand.
عدد الصفحات : 245

.عطية الويشي ." الخوف من الإسلام"
الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة

سعيد اللاوندى " فوبيا الإسلام في الغرب"
الناشر: دار أخبار اليوم بالقاهرة

مصطفى الدباغ) الإسلا م فوبيا (عقدة الخوف من الاسلام
دار الفرقان للنشر والتوزيع :الناشر:

نبيل عبد الفتاح
الخوف والمتاهة الإسلام والديمقراطية والعولمة

بوبي س.سيد
الخوف الاصولي ـ المركزية الأوروبية وبروز الإسلام
لبنان -دار الفارابي :المترجم: رياض حسن الناشر

راجي أنور هيفا
الإسلام والغرب، حوار الحروف وصدام السيوف
دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر :الناشر:

" "إسلاموفوبيا : "دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام
منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

Thomas Deltombe « L'Islam imaginaire : la construction médiatique de l'islamophobie en France، 1975-2005 » Éditions La Découverte، 2005. Collection : Cahiers libres. 382 pages

Vincent GEISSER septembre ، édition La Découverte"La Nouvelle Islamophobie" 2003. Collection : Sur le vif. 128 pages

Emmanuel Todd, « Après la démocratie », Gallimard, Paris, 2008. 257 pages

الـــــــــدوريـــــــات

Le Figaro	Paris
Le Monde diplomatique	Paris
International Herald Tribune	Londres
Le Point	Paris
Figaro-Magazine	Paris
Le Nouvel Observateur	Paris
LE MONDE	Paris
New York Sun	New York